

الباب الأول

العلاقة الجدلية بين إشكاليات الواقع،
والتوحد المأساوي للفارس والشاعر

oboi.kandi.com

الفصل الأول
قضايا الواقع العربي والإسلامي

obeikandi.com

الشاعر: شاهد الأمة في ماضيها وحاضرها.

قضايا الواقع العربي والإسلامي هي مرتكز التجربة الشعرية للشاعر الدكتور صالح زهراني، ومن هنا يدور شعره في ماضي الأمة وحاضرها، حاكياً أمجادها، وجراحها، وآلامها، راصداً فتوحاتها وكبواتها، مصوراً من خلال ذلك كله تاريخ أمتها، وتاريخ ذاته الموجهة، إذ لا نكاد نري فاصلاً بين الذاتين، الشاعر هو الأمة، وسيرة الشاعر هي تاريخ هذه الأمة.

لذلك يبدو الشاعر في كثير من قصائد هذه التجربة هو الشاهد علي عصره، نري هذا الشاهد صراحة في عناوين بعض القصائد، ونري ما يدل عليه من المفردات، كما في قصيدة "شاهد العصر"^(١٣)، وقصيدة "شهادة حياة"^(١٤)، و"اعترافات شاهد الموت"^(١٥)، وهو الشاهد الذي يتبطن صوت رموزه التاريخية- كما سنبين عند دراسة الصورة الشعرية بإذن الله- يستعير صوت "حرام بن ملحان" وصوت قبيلة "باهلة"، وحراس ابن قتيبة، والسندباد...، الشاعر هنا هو ضمير أمتته الفنية، ومعاذله للفني، بما ينعكس علي المعجم الداخلي لتجربته، حيث يتردد فيه الأفعال الدالة علي معاينة الواقع مثل مفردات الرؤية، والسماع، والإدراك، والشهادة.

للشاعر في هذه التجربة هو شاهد العصر قراءة لواقعه، ورؤية له، ورؤيا، وهو يكثر من التعبير عن اضطلاعه بهذا العبء في كثير من مواضع شعره، كما في قوله:

إني لأقرأ في الصفوف تخاذلاً والشعر يقرأ ما تكن الأسطر
إني لأبصر في العيون غشاوة ولذا أقول بما أري وأذكر

وقضايا الأمة هي مرتكز هذه التجربة الشعرية، وهي الهم الشاغل للشعر والشاعر، يقول د. صالح في "قواصل.. للصبح الجنوبي":

يا جبال السراة حملت هماً
في زمان مات الورى فيه حسيا
كل قومي في حرقتي في فوادي
كيف يقوي هذا الفؤاد المؤسي
يشرب الأبعدون فيض حزني
في وربدي جمعت بكرا وعبسا

يطرح الشاعر هذا الهم الجمعي بوصفه همه الشخصي حيث لا فاصل
بين الذات والمجموع، لذلك يقع هذا الهم علي رأس مثيرات حزنه، كما
يقول^(١٧):

وأنا في نمي أغني لقومي
حافظا للزمان ما ليس ينسي
حاملا همهم شجي أبديا
وأقاسي، لأصبح اليوم أقسي

هموم الواقع التي تشغل الشاعر تمتد زمنياً من الماضي إلي الحاضر،
وتهيمن علي المستقبل أيضاً في الاستشراف اليانس، وفي البحث عن
الرؤيا، لذلك يصف الشاعر هذه الهموم بأنها "العاهة المستديمة"، في
القصيدة التي تحمل هذا الاسم. يقول^(١٨):

أمس جرح، واليوم في القلب جرح
أمس نمنا عليه واليوم نصحو

هذه الهموم تمتد من النكسة الأولى إلي النكسة الأخرى، وهي وجع
الذات، وتاريخ الحرائق- كما يصفها- هي النار الممتدة في كيان الأمة،
وكيان الشاعر، هي هذا التاريخ المؤلم الذي يصف رحلته الدامية في
قصيدته "لغة خارج الأبجدية" حيث يقول:

من بزوع النكسة الأولى لموت النكسة الأخرى

من نسف المطارات إلي قصف الحصون

كنت أشكو من تضاريس الشعارات ومن مد الفراغات

ومن خيل الطنين^(١٩)

يرتحل الشاعر بفكره، وحدوسه بين ماضي الأمة وحاضرها، فتروعه
المقارنة، وتهوله المفارقة، ومن ذلك يحمل فوق جنبه - محنوا بيها
الماضي آملاً فيه - مجداً وفتوحات وقيالق يحمل راية المجد منتظراً
للتغير، كما يقول في "تقاسيم العشق الجنوبي".

بيرق المجد مشرع فوق رأسي وخيول الأبياء تكمي جبيني^(٢٠)

يصطدم ماضي المجد بهزائمية الواقع، وبالضعف الذي يرين علي
كيان الأمة، وينتظم كافة أرجائها، فيوزع الشاعر نبضه علي هذه البقاع
الموجوعة، ويلتحم بها، يقول في قصيدة "الريحانة".

فؤادا يقرأ الدنيا عجاجاً وقد جنت بأمنه الخطوب

يقسم نبضه في كل أرض ففي كل البقاع له وجيب

ويصرخ في الوجود بألف معني ويمضي السائرون ولا مجيب^(٢١)

يسيطر هم الأمة علي وعي الشاعر، وتستلبه مشاعر حزنه علي
تضعضع الكيان حتى في لحظات الميلاد وانبثاق حياة جديدة كما في
قصيدته التي يبارد فيها ابنته فيروز عند ميلادها بهموم الأمة، وكان لحظة
الميلاد لم تهد إليه الإحساس بالحياة، بل أهدت إليه الشجن من انسحاب
الحياة من كيان الأمة. يقول لابنته.

جنت، وذاكرة الأيام مثقلة بحزنها، والليالي نبضها عبر

ويقول:

جنت، وللصبح صبح لا صباح له وللبدايات وجه لونه كدر^(٢٢)

قضايا الواقع العربي والإسلامي ليست موضوعاً من موضوعات
التجربة الشعرية للدكتور صالح الزهراني، بل هي موضوع هذه التجربة

منذ أول ديوان صادر له، وهو "تراتيل حارس الكلاً المباح"، حتى الديوان الأحدث - قيد الطبع - وهو "ورقة من سفر الرؤيا".

ليس هذا وحده ما يميز هذه التجربة الشعرية، وبلغت انتباه النقد، بل بلغت انتباه النقد ويجبره قسراً على التأمل في جنبات هذه التجربة، والانشغال بتفاصيلها الفنية الطرح الشعري وتميزه وانسجامه العضوي، سواء داخل الديوان الواحد، أو بين الدواوين بعضها البعض، بما يجعل هذه الدواوين مجتمعة بمثابة القصيدة الواحدة من الناحية العضوية، ومدى الدلالة على رؤية الشاعر الفنية والفكرية، وهي في ذات الوقت تمثل مراحل هذه الرؤية حيث يصور كل ديوان من هذه الدواوين حلقة من حلقات التجربة الشعرية وتفاصيل رؤية الشاعر، وذلك كما يلي:

في ديوانه "تراتيل حارس الكلاً المباح" يصور الشاعر قضية استلاب الأمة من خلال تصوير هذه الأمة وكنوزها كلاً مباحاً، يتعرض للانتهاك والسرقة والإضاعة والتدمير، يتعرض للاحتراق، والتجمر ثم الترمد.

ويأتي ديوانه "فصول من سيرة الرماد" مرحلة منطقية - شعريا ورؤيوية - حيث يقدم سيرة لهذا الكيان في مرحلة ترمده بعد أن مر بالاحتراق والتجمر. يقدم الشاعر في هذا الديوان طرحه لدلالات الرماد، ويطرح أسئلته الشعرية حول مدى إمكانية البعث من الرماد.. البعث من جديد.

أما ديوانه الثالث - في ترتيب الإصدار - وهو "سنذكرون ما أقول لكم"، فهو شهادة الشاعر على الواقع موجهة إلى ضمير الجمعي، يضمنها تحذيره من الآتي، ويطرح أجراس إنذاره مؤكداً أن التاريخ سيعيد صدى رسالته ورؤاه، وسيؤكد صدق ما ألفاه إلى الجموع.

في ديوانه الأحدث: "ورقة من سفر الرؤيا" يهدي الشاعر د. صالح الزهراني رؤاه الشعرية إلى ضمير الأمة، في شكل بانورامي شاملاً

الماضي والحاضر والمستقبل، وهي رؤى مبدئية على المراحل السابقة للتجربة، والمواكبة- في ذات الوقت- لمرحل تزيخ الأمة.

ليس معني هذا التقسيم السابق لمراحل التجربة الشعرية أننا نضع فواصل بين دواوين الشاعر، ونجزم بالفصل التام بين موضوعات كل ديوان، واستقلال كل ديوان بموضوعاته- أو مرحلته الموضوعية- استقلالاً تاماً، فالتجربة الشعرية لا تحتمل هذا الفصل، ولا تتبعه، إنما نصف السائد الغالب على كل ديوان شعري، مع تفهم قابلية وجود استثناء للظاهرة المشار إليها، بما سيتبين أثناء التحليل النقدي.

استلاب مقومات الأمة:

يكاد يستأثر ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح" بطرح قضية استلاب الأمة، وتبيد الكيان- كما أشرنا.

وتدور التجربة الشعرية في هذا الديوان حول ثلاثة أطراف هي: الأمة (أو الكلا المباح)، وحارس الأمة (وهو الشاعر في الغالب)، والمجتمع.

الأمة في هذه التجربة كلاً مباح في كل الصور والصفات والهيات التي يعرضها لها الشاعر، وفي كل السياقات المحيطة بها، فهو يصورها في القوائد خريطة صماء بلا معالم تحميها من الإذابة والتلاشي، أو للتماهي، أو سرقة الماهية! وهي في طرح داخل هذا الديوان كيان "مباح" متاح يغري بالسرقة والانتهاك، والاعتداء عليه، ويغري أصحابه بالتخلي عنه.

يطرح الشاعر هذا التصور في قصيدته "قراءة لعوامل التعرية" حيث نري التعرية معني من معاني إباحة الكيان أو إباحة الكلا:

ها أنت يا نهر الجراح خريطة صماء ليس بها لسان يعرب

الوطن مباح- والوطن هنا أممي- من قبل أعدائه، لذلك فهو جسد
مجروح منتهك، لا يجد من يسانده، كما يقول في ذاته القصيدة:

واليوم في الأقصى جراحك نرة والكف مجدبة، وظهرك أحذب^(٢٣)

عوامل الاستلاب:

من عوامل إباحة هذا الكيان الفرقة الداخلية، والتنازع بين أبناء الأمة،
الذين يتنافسون في إشاعة الشتات والتمزق يقول الشاعر:

بكر التي شحن التحدي قلبها لحقت بها خوف الفضيحة تغلب^(٢٤)

علب مكدسة، يعربرد فوقها جيش الظلام، لكل بيت مذهب

ويقول واصفات جرم الخلاف والفتنة علي هذه الأمة السلبية من
أبنائها قبل أعدائها:

قبائل "بشرار الحق مولعة" نارية الوجه من صيدا إلي الهرم

حدودها السود تغني تحت ظلمتها أشعة الحب والقربي ونو الرحم^(٢٥)

في موضع آخر يصور الشاعر هذه الفتنة الداخلية بالخلاف بين
الأب، والعم الجائر، والأبناء، يقول في "مقاطع من سيرة أبناء يعقوب" في
ديوانه فصول:

"وكان عمي جائراً، يسير بالمقلوب

في موسم الحصاد، يحمل الأمل

ويحمل الريحان والعسل

فتبدأ الأحزان

بيناعها ولا يؤوب"^(٢٦)

ويُتعمد الشاعر أن يجعل الخلاف مستمرا حتى نهاية هذه القصيدة،
ويترك لنا نهاية مفتوحة مؤنثة بكارثة، حيث يقول:

وجاء عمي ساعة الحصاد

بطلب الغلال

قلنا له محال

واصطفت الرماح والخطي

لكنه حل بنا المكتوب^(٢٧)

يصور الشاعر هذه الإباحة والانتهاك من خلال تصوير تحول موقع
الأمّة من القوة إلى الضعف، من فتوحات وفروسية إلى خزي وعار،
وصممت إجباري..، يعبر عنه الشاعر من خلال تصوير رموز القوة من
تاريخنا الإسلامي والعربي مستلبة ذليلة مهانة- بما سيرد ذكره عند تحليل
للموز- يقول:

أبكي نما، إذ أرى القعقاع في يده قيد يساق به في هيئة الأمم^(٢٨)

وفي قصيدته 'بيان للجماهير المحتشدة' يؤكد الشاعر أن الضعف
والتخاذل صار علامة فارقة، للأمة، يقول:

صدقوني بعضى يحارب بعضى كنت عربا، فصار نصفي تتارا

خطوتي تنهب المدي، ويميني فوق رجلي، نقيم عمدا جدارا

ولساني يذوب عطراً، وقلبي لجراح الزمان أضحي مطارا^(٢٩)

هذه الهوية المستلبة، والملاحم الباهتة، من مثيرات حزن الشاعر،
وهي أيضاً عوامل تعرية الكيان الفردي والجمعي كما يقول في القصيدة
التي تحمل هذا العنوان "قراءة لعوامل التعرية":

أبكي، لمن أبكي، وجلدي هارب منى، وثغري بالجراح مقلب^(٢٠)

هذا التحول المسخي قضية مستمرة، بل هي متنامية، لذلك فهي قضية أساس تستمر مع الشاعر حتى ديوانه "ورقة من سفر الرؤيا"، وهو يطرحها في قصيدته "نهاية رجل مجنون" بوصفها أحد دوافع تهديد العقل بالجنون، يقول^(٢١)

اليوم ينطق أبنائي لغة وينشدون ترائلي علي هون

سود الوجوه استدار الفجر حالكة وكيف يورق بشراً وجه مأفون

من عوامل استلاب الأمة، وإضاعة هويتها- في هذه الرؤية الشعرية- خيانة أبنائها لها، حيث لم يكتفوا بإضاعة الفرقة والفتن، بل ساهموا في إبادة كياناتهم بتخليهم عن نصرته، وصبرهم علي إضاعته، يقول الشاعر^(٢٢).

أشكوك، أم أشكو الأحبة أخلفوا وعد الهوى والعاشقون تغيبوا

هؤلاء الأبناء- كما يصورهم الشاعر في قصيدته "فيروز: أغنية العش الأولي"- كسالي، فاقدو الهمة، راقدون بلا عزم بما يوجد المفارقة بين خورهم ومأساة الأمة، يقول:

كان الخليج دماء، والجليل أسي وفوق "يامير" سيل الظلم يستعر

أما أبناء الأمة، فقد:

استدفنوا علب الأسمنت، واحترقوا بدفئهم، والأسى يهمي وما شعروا

الخائنون والكاذبون عامل من عوامل استلاب الأمة وتعريتها من مجدها، ومن مستقبلها، من هؤلاء الخائنين بعض الشعراء، مقدمو الأوهام والكذب، كما يقول في قصيدة: "الكون الفسيح".

خدرتنا بعض القصائد عمداً
أوهمتنا أُر الرثاء مديح
فاتحتنا بكل فتح جديد
تتجلي في مقلبته الفتوح^(٣٤)

الحب السلبي من عوامل هدم الأمة أيضاً لأنه يقف عند حدود الكلمة
والحماس، والانفعال، ولا يرقى إلي مرحلة النزوع إلي الفعل، يقول:
ونذيب فيك حناجرأ ذهبية
فإلي متى نجني عليك ونكذب^(٣٥)

الوطن، والأمة منتهكة بالشائهي المشوهين، مثل نموذج الشيوعي في
قصيدته "الحروب الفندقية"، يقول د. صالح مخاطباً هذا النموذج:

لست صادق

أنت أعداء القضية

أنت بعث الوطن الحر بعين بابلية

وترفعت علي كرسيك الأسود في تسعين طابق

تأمر القوم وتتهي

وتقول: الحق مسنود برأس البندقية^(٣٦)

وفي رؤية حادة كابية، ومواجهة جريئة صادقة تتوجه أصابع اتهام
الشاعر- في قضية إضاعة الأمة- للجميع، الذات في هذه الرؤية قاتلة
لذاتها، والدماء تلتخ جميع الأيدي.

كما يصف الشاعر في قصيدته "مر مجدوه" حيث يقول: لمن يسميه
"سيد الفتح":

لست وحدك، كلنا بعنا زهور البرتقال

كلنا في طور سنين بكينا

متلما يبكي الرجال
وحملنا ملك كنعان علي رأس الصليب
بقلوب غامرة

وتبعناك فبعناهم يهودا، ولذا نعلن بيع السامرة (٣٧)

الإدانة القاسية المريرة تتوجه للجميع كذلك في قصيدته "الأعمى
وخيوط العنكبوت"، يقول:

حدثي الأجيال عن أحجية
قد وصلت ما وصلت لكنها
عن عقول أولعت بالزلزل
بعد ما طال السري لم تصل
حدثي عن رحلة الأعمى الذي
شاد بالبارود أزهى منزل
وارتمي في عمقه في كفه
شعلة النار وكأس الحنظل (٣٨)

الخائنون لهم ملامح متعددة: في هذه الرؤية الشعرية، وهم في قصيدة
"وصية حرام بن ملحان" عبيد شهواتهم وهوامهم، يبيعون الأمة ويمزقونها
لإرضاء مبتغاهم،
يقول الشاعر:

فند قيو الهوى، وما هز سيقا
فوق أشلائنا أقاموا كيانا
من تني حاجبه قدر شيق
هامشيا تداس فيه الحقوق
مزقونا، وكيف يلتام شعب
بين عينيه يولد التمزيق
خرقونا، فكل فرد لدينا
برلمان، ودولة، وفريق
منذ عرفنا الهوي وهم ما استكانوا
الفتوحات عندهم تعليق
نصف قرن من الجهاد استباحوا
ما بني فارس، واعطي ذليق

سوف يأتونكم علي ألف قلب
فاوصبهم حرح وأربيتوا
وأقيموا علي الفجيعة عرسا
وبخورا، فلحما للمحروق^(٣٩)

خيانة الأمة وراء تعطيل قوى الفارس وكبواته في الرؤية الشعرية
للكنور صالح، الخيانة وراء تعطيل قوى الشعر، وانتفاء فاعليته، يقول في
قصيدة "فارس الضحي"^(٤٠).

حروفي التي أنكرتها، نصف حزنها
علي مثل هذا الوجه من أين تطرب
نكايتها من ألف وجه مقنع
إلي أمة الإسلام يدعي وينسب
هو يعبى بين عينيه فاقع
وما بين جنبيه (فؤاد معرب)
أمانيه في الدنيا قصور منيعة
وشيك، وكروسي وثير ومنصب

وهو بصور هذه القضية بأسى وشجن في قصيدته "السيف والوردة"
حيث يؤكد اكتمال عناصر النمو والإيقاع والحياة في كيان الأمة، لولا
عناصر الهدم الكامنة في هذا الكيان والمعاملة فيمن سماهم "المرضي"،
يقول:

ما شكي دوحنا نميراً وظلاً
إنما نشتكى من القوم مرضي^(٤١)

ولذلك يوجه خطابة الشعري إلي "البيد" رامزا بها إلي الوطن-
بدلالاته الواسعة- ألا تلتقت إلي معطل المجد، وخائن القضية، يقول في
"تراثيل حراس ابن قتيبة"^(٤٢).

دعي الذي جاء في كفه موبقة
فأرأسه حاسر والأفق محدود
دعي المخبيين في ظلماء حسرتهم
دليلهم سائر والباب مسدود

صور استلاب الأمة في التجربة الشعرية

مشاهد الاستلاب والإباحة للأمة متعددة، يتتبعها الشاعر في تجربته، ويعدها، ويمزج أحياناً بينها وبين عوامل الاستلاب، بما يملأ قصائده- عبر الدواوين المختلفة له- بأسماء البلاد والمدن العربية والإسلامية المنتهكة الضائعة.

يقول في تقاسيم العشق الجنوبي^(٤٣)

جنّت في خافقي الخليج وصيدا ومقاليع جيلنا الحطيني^(٤٣)

وفي قصيدته "وجوه وحقائب بدورية" يملأ الحقائب المشار إليها في العنوان بوجع أمته، ويجعل هذا الوجع الملامح المميزة للذات، ويقدمه في شهادة دامية. يقول:

جنّناك يا مولاي موالا حزينا

فتشي حقائبنا، وقل ماذا لدينا

ماذا نجني في محاجرنا، ونحمل في يدينا؟

فتش تجد سيفاً دمشقياً، وزيتونا وتينا

فتش تجد حزن العراق، "دم الجليل" "رمال سينا"

فتش تجد أنا نحاول أن نكوننا^(٤٤)

وفي "قراءة لعوامل التعرية" يصور وجع الأمة باعتباره دماء للتكوين، يقول:

أنا مهنا، لكن حيفا في دمي وفي بطعم صديدها تتحلب^(٤٥)

وحين تبادره "قبيلة باهلة" بالمفاخرة بعزتها وضمودها- في طرح رمزي- يعدد لها مشاهد الانهزام الكفيلة بحنيرها من تبدل الأيام، وذلك في إسقاط فني رمزي واضح علي واقع الأمة، يقول لها^(٦٦).

لكنتي أبصر الأيام كالحة في عمق عينيك لا غمطا ولا حسدا
لا تتسجي من خيوط الوهم مملكة ولا تقولي ليالي الدهر لن تلتدا
فهذي الأرض، لا سيف باهلة وسط العجاج ولا صوت يرد صدي
تبكي "سمرقند"، لا خيل يصبها ولا قتيبة يأتي وجهه مددا
"ونخل دجلة" أحزان مقومة علي نظاها رمي أحشاه ترددي

من معالم الاستباحة ضياع المعالم، وانطماس الملامح، حيث تبدو الأمة في عين الشاعر كيانا مמושخاً غير مميز، أو هو مميز بضعفه وثلثه، بما يبدو من الدوافع التي تجدد أحزان الشاعر في قصيدته "أحزان جديدة" يقول:

أري أوجها لا لون فيها، خرائطاً تضاريسها جذب وصمت مغلف^(٦٧)
أري أمة حيري، رؤاها كئيبة ومقلتها بيضاء والوجه أعجف
أخي: حين أحسو العيس للسير ينثني كئيبا ينادي: أوقفوا للعيس أوقفوا
فأبصر قامات المطايا ذليلة يقيدها عن مبلغ القصد مرجف

تستمر هيمنة قضية استلاب كيان الأمة علي التجربة الشعرية للشاعر د. صالح الزهراني حتى ديوانه "ورقة من سفر الرؤيا" لكنها في كل ديوان من دواوينه تمتاز بالمرحلة الشعرية له، وتبدو جزءاً من دلالتها، فاستلاب الأمة في ديوان "تراثيل" مشهد من مشاهد إباحتها، واحتراق معالمها، وفي ديوان "فصول من سيرة الرماد" يبدو جزء من مرحلة الترمد وغياب المعالم، وفي ديوان "سنكرون ما أقول لكم" يصبح من بين

مقولات الإدانة والنذير، وفي ديوان "ورقة من سفر الرؤيا" يصبح هذا الاستلاب معلماً من معالم الرؤيا المشار إليها في العنوان، ودافعاً للبحث عن خلاص: خلاص الذات.

يقدم الشاعر في قصيدته "أعراس الجلال" من ديوان "ورقة من سفر الرؤيا" مشاهد عدة لانتهاك كيان الأمة، وضعفها بيد أعدائها الذين تتوعدت أسماؤهم، لكن بطشهم بالأمة وحقدهم عليها موحد مشترك، يقول:

المسلمون اليوم إما قائم	يشوي، وإما بالجراح مغلب
يا سادة الحرف الشريف، أجلنا	في زحمة الأحداث لا يكذب
الحرف لغو حين يحني هامة	للخاصيين، لعرضه لا يغضب
وأنا أحننكم، ووجه عربتي	ساج، وأولي القبلتين يعذب
ومدامع الأطفال تغرق آهه	ودم الضحايا فوق دجلة طحلب
وشوايق الشيشان سيل عجائز	يطفو علي تلك الوهاد ويرسب
و "البند كوش" بنادق وبيارق	كل له باسم الصباية مذهب ^(٤٨)

هذه الرؤيا المفجعة يطرحها الشاعر في قصيدة "أحزان معتقة" حيث تتضمن القصيدة "موتين" ورتاعين، ومذاقين من الأحزان هما رثاء الأمة، ورثاء والده الشاعر، ويتضافر الحزن عليهما معاً في بكائية واحدة، بما يجعل عنوان القصيدة "أحزان معتقة" عنواناً ذا دلالة تاريخية ودلالة نفسية.

يخاطب الشاعر في هذه القصيدة (والدته المائتة) ويناجيها بأحزان أمته، ويشكو إليها ضياع هذه الأمة، وهو بشكواه إلي المائتين - في هذه القصيدة وغيرها - يعبر عن مدى افتقاده لغة التفاهم والخطاب بين الأحياء، يعبر عن اغترابه بين الأحياء، وانتناسه بالموتى، بما يتجانس مع

هذا الوصف المفجع الذي وصف به أبناء أمّنه هي القصيدة بأنهم قيام
"غضوا أعينهم، وأسماعهم عن الحقيقة الواضحة.

يقول الشاعر:

حملت لأهلي الكلمات زهواً وأهلي مذ ولدت لهم نيام
فمن نهر الفرات إلي كوسوفو ظهور المؤمنين لهم حطام
وما مل الرصاص من الضحايا ولم يشك الزجاج ولا الرخام
ملايين تدك، ولا قرار فكل جيوش أمتنا خصام
نُساق إلي الفجيرة كل يوم علي حد السيوف لنا زحام
حياة الضنك مولود الخطايا وما أنقى الحياة لو استقاموا

ويوالي الشاعر وصف مشاهد الفجيرة والاستباحة إلي حد يصل فيه
إلي التشكك في بهاء الماضي، وأمجاد هذه الأمة، ومدى ما كانت تشتمل
عليه من بطولات، يقول:

كان الطين ما عجن المني ولا درج المغيرة أو هشام
غرائب ذا الزمان استوطننتي علي صدري تقام لها خيام
أري غصن القتاد ينوء تمراً وفرخ الباز يطعمه النعام^(٤٩)

ضعف الأمة هو لغزها المستعصي على العقل، هو أحجية المخلصين
لهما، وهو الدلالة المقصودة من عنوان قصيدته: "لو غاربتما عربية"
فهذه اللوغاربتما هي هذا السؤال، وهذا الغموض الواقع بين الماضي
المتوثب لكياننا، وحاضرنا الأسن، هذه هي المأساة غير المبررة، يقول
الشاعر:

الروم يخرج من أصلابهم قضب ونحن ليس لنا كف ولا قضب

ظهورُ أحفادِ سيفِ الله قنطرة
 وللأساطيل فوق الموج دمدمة
 وللغاصبين، وسيف المدعي حطبُ
 والراجمات على الشيطان تتحطبُ
 والقنسُ في قيدها النارى راسفة
 مصفدون على ألواح حرقتنا
 وفوق طمي الرزايا ترقب .
 تحنتنا موبقاتُ الجرح ترنكبُ

هذا الانتهاك مأساة قديمة في تاريخنا، كما يقول الشاعر في ذات
 القصيدة:

فكلُّ أوراقتنا محروقة سلفاً
 من بعدِ حطين، والأعراضُ تُغضب

هذه الأمة المستتية، أو هذا الكلأ المباح، لا يجد غير حارس واحد
 يحميه، هذا الحارس هو الشاعر الذي يمثل ضمير الأمة ووعيتها،
 ووجدانها الصانق. وهذا الحارس أعزل، لا يملك من أدوات الحراسة إلا
 صدقه وحبه، وحزنه وثرائله لأمته، والتي هي قصائد حبه وعشقه،
 ورؤاه وإدانتته، وتحنيره، وهو لهذا كله مستضعف يواجه قوى تضعضعه،
 وتضعف قدرته على حماية الكنوز، هذه القوى هي الخطرُ المحيق بالأمة
 من جهة- وهو جزء من هذه الأمة- فضلاً عن خطر الجموع القافلة
 اللاهية عن مصير أمتها، والتي لا تتي تعطل الحارس عن حراسته
 بالسخرية، أو الإعاقة، أو بالغفلة، أو بإنعدام الحماس، أو البلادة- بما
 سنطرحه في مواضع أخرى من هذه الدراسة- والحارس في كل هذا
 محاصر أيضاً بجروحه، وحزنه، ووهنه الذي يتضاعف كلما ازداد
 إحباطه، وقوى يقينه من اللاجبوى....

يصلُ الحد بالحارس (الشاعر) إلى أن تثنقد ثرائله (قصائده) الأمن
 هي أيضاً، والحرية، فتبدو في مواضع كثيرة من الطرح الشعري في هذا
 الديوان مكممة محاصرة، مخنوقة القوافي، بما يحكم بناء مأساة الأمة في
 هذه الرؤية الشعرية، وبما يمهد تمهيداً عضويًا- لبنياً- للوصول إلى

المرحلة التالية من مراحل طرح قضايا الأمة ونحني مرحلة "الرماد"، التي تبدو - وفق منطق الرؤية الشعرية - مرحلة طبيعية بعد مرحلة هذا الاحتراق.

غياب فاعلية الكيان العربي الإسلامي:

غياب الفاعلية العربية والإسلامية محور موضوعي يهيمن على قصائد ديوان "فصول من سيرة الرماد" على وجه الخصوص، كما يبرز في أكثر من قصيدة في الدواوين الأخرى للشاعر.

يصور الشاعر عبر هذا المحور انطفاء شعلة المجد، وغياب القوة العربية والإسلامية، واحتراق الكيان حتى بقاء الرماد شاهداً دالاً على ماضي. شأنه شأن شواهد القبور تدلنا على الجثث لا على الحياة. في هذه الرؤية شمل الاحتراق الجميع، في ذات الموقد، كما يقول الشاعر:

" احترقنا بالمواعيل ، كما يحترقُ المسلمُ في حوض أسيد "

وشواهد غياب القوة، وترمدها كثيرة في هذا الطرح، منها انطفاء النار في زند الفارس، وعجزه التام عن إشعالها كما كانت من قبل. يقول في " حاشية على الجرح ":

فكيف تخبو النارُ في زنده وزنده نزاعة تقدح (٥٢)

والرمادُ في هذا الطرح هو المتبقي من تاريخ المجد، ومن كيان الأمة، وهو " المتبقي من حزن الرجال " في القصيدة الحاملة لهذا العنوان: ويبدو الشاعر على رأس الرجال المحزونين ويصور ذاته في القصيدة ذاتاً شعرية حائرة لا تدارك كيف تبدأ فصول سيرة الرماد، التي هي ذاتها سيرة العار، يقول الشاعر:

ما أصعب العار من أين أبدأ العارا
وكيف، أنشدُ يا تاريخ ما صار
من أين لي لغة نشوى أحملها
همي، فتحمل عن الثلج والنارا

يصف الشاعر تاريخ العار - على حد تعبيره - فنجده هو تاريخ
التحول من القوة إلى الضعف، هو تاريخ التنازل والتراجع والصغار
يقول:

كانت مع " عمر المختار " ضابحة فلم تجد بعده في القوم مختارا
كانت على عتبات الدار مورقة واليوم ضيع فرسان الهوى الدارا
غياب البطل الفارس من مشاهد الرماد، ومن دواعي انهيار بناء
الأمة، وانهيار كيان الشاعر - الملتحم دائما بالأمة - حزناً وقهراً. يقول د.
صالح :

يا أحرفي: لا تلوميني أنا بشر
أرى الجدار الذي ما اهتز منهارا
أرى أسفي في وجوه الناس أمسكه
ناباً يسافر في قلبي واطفارا
فكيف أسكتُ عن جرح يعذبني
وكيف أكتب بعد اليوم أعدارا

يُعدد الشاعر في هذه الرؤية معالم ترمذ الأمة، وفنائها، فإذا بهذه
المعالم هي: ظلام الأرض، انعدام الخضرة تمكن الصبار من الحقول،
اعتداء الاحتراق على جدار الأمة ووجوه الناس، ومعالم الأرض التي
أوحشت، والروابي التي كلحت فيها الحياة، ورقعة الوجوه التي تغيرت
كلها وتحولت إلى معالم موت.... وحين تردحم مشاهد الرماد على عينيه
ووعيه ورؤاه يتساءل خائرا حزينا: "من أين أبدأ" وهو تعبير يلزم
قصادته في هذه السياقات، ويبدو بنية لازمة لها، كما سنشير في الدراسة
الفنية، يقول الشاعر:

من أين أبداً ؟ كل الأرض موحشهُ

تمتد أفاقها طلاً وأستارا

صارت وجوه الروابي الخضر كالحاة

بعد العراجين، صار الطلعُ صباراً^(٥٤)

وهكذا تبدو "أحزانُ الرجال" في هذه القصيدة هي المتبقي من كيان الأمة، وهي أحزان متبقة - في ذات الوقت - من هيمنة العار، وغياب الفارس، وتحول الخارطة، وللجود الذي يواجه به الشاعر.

يمزج د. صالح بين إدانته لأمته، وبين تصويره لمشاهد تراجعها في قصيدته "تعايق على ما قاله لقيط بن حارثة". يمزج ما بين مرحلة الاحتراق، ومرحلة الرماد، فيصف انعدام الوعي باعتباره سبباً للضعف، ونتيجة له، وهكذا تبدو الذات الفردية والذات الجمعية ذاتاً يتبطنها الذمول والشروء واللاإبرك في هذا الطرح الشعري. يقول الشاعر:

لا حامل السيف يدري عن حمائله والمهرُ لا أمن الجلى ولا ضيحا
فوق انحراف الزوايا، تاه قارسه لأن مبداه للفتح ما اتضحا
ولم تزل للأيدى الحروف فما حراً، ومهرا حرونا يتقن المرحا
لكنها أمة الإسلام واقفة فوق اللظى تحسب الظلماء شمس ضحي

ولأن غياب القوة، وتراجع فاعلية الأمة إشكالية أساس في هذا الطرح الشعري، يلجح الشاعر د. صالح على محور للمقارنة بين ماضي الأمة وحاضرها، مدفوعاً بالألم والحيرة، والدهشة والاستقزاز....

وهو في تصويره للماضي ولستعانته له يصف ماضي الأمة من خلال ماضي الفارس، والخيل، والسيف، والحلم، والشاعر وهكذا ماضيا في مقارنات موجعة مفاجئة، تبدو وكأنها الطريق الوحيد لتصوير رؤيته

ووعيه بالمأساة، وتصوير مدى فداحة هذه المأساة. يقول -ي- خَلِيق ما
قاله لقيطُ بن حارثة:"

كانت خيولاً إلى الأفاق مشرعة كانت صهيب وكانت البيع قد ربحا
وصارت اليوم سمراء، وفاكهة أضحوكة، أصبحت للناس مثل جحا
دارت بذائرة التاريخ وابتدأت دوامة أنجبت تسعين مصطلحا
لقيطُ، وقد تجرح الأحباب قصتنا وأعظمُ الحب ما أنكي وما جرحا^(٥٦)

الفارس قوة مغيبية عن الواقع العربي الإسلامي:

تغيبُ الفارس عن الواقع الراهن لأمتنا من شواهد انهزاميتها وغياب
فاعليتها، ومن معالم رماد الأمة؛ فالفارس على رأس الكيانات الفاعلة في
ماضي الأمة، والتي احترقت ولم يبق منها إلا رمادها، المائل في حزنه،
وبقايا قوته، وشواهد من أسلحته، ونشيجه الدامي وهو يتغني ببطولات
قديمة كانت وولت، وهو ينحأها على يقين بأنها لن تعود، أو ينعاها
متسائلا بلهفة وحزن- في بعض السياقات- عن إمكانية عودتها.

الفارس قوة مغيبية لا غائبة في هذا الطرح الشعري، فهو لم يتخل عن
أمته، ولم يتراجع، ولم يفقد حماسة وقوية وشجاعته ونخوته، لم يفقد شيئا
من عناصر الفروسية، لكنه غيب، ودفع دفعا إلى الانزواء والصمت
والجمود بفعل العوامل الكبرى التي دفعت الأمة جميعها إلى الانحسار
والترجع،.... لذلك- وكما سنلاحظ في الطرح الشعري يتسمُ الفارس في
الرؤية الشعرية للدكتور صالح- بالحزن والحنين إلى ماضيه المجيد،
وتتخذ ملامحه دائما علامات الترقب والانتظار، ومحاولة قراءة الأحداث،
واستشراف الآتي، كما يتصف في هذه الرؤية بمعاناة الوحشة والاعتراب،
والمعاناة من الجموع، واليأس من إمكانية الفاعلية،..... وكل هذه

الملاح تأكيد من الشاعر، وحرص منه على وصف الفارس بالتراجع
الاضطراري عن نوره النبيل، فهو يعاني من الانزياح والإزاحة.

في قصيدته " كائن بلا هوية" يصف الشاعر ملاح الفارس التي
احترقت، وتاهت، حتى صارت- كما تشير دلالة عنوان القصيدة- بلا
هوية.

وحين يسرد الشاعر سيرة الفارس في هذه القصيدة يثير آلامنا
بالمقارنة بين ماضية، وحاضره. يقول فيما يشبه نعي الفارس:

كأنه ما أتاك الكون مبتهجا يوماً، ولا حف بالنجوى ولا لحتقلا
ولا أرتمت تحت رجليك للنجوم هوى وللشمس ما شاطرنك البوح والغزلا
ونعابن ملاح الفارس في الحاضر، فإذا هي ذاتها ملامحنا جميعا،
وملاح هذه الأمة، إذ يبدو الفارس محني القامة والرأس والكبرياء، يقول
الشاعر:

كيف انحني فيك هذا الرأس يا قمرا

بزهو عينيه كنا نضرب المثلا^(٥٧)

وفي قصيدته " ترايتل حراس ابن قتيبة" يدير الشاعر مقارنة بين
ماضي الأمة وحاضرها، ويصف كيفية التحول من الفتوة والشموخ إلى
الخشوع والجمود، يقول:

" كانت البيدُ نهرأ، تسيلُ رقابُ المطى على ضفتيه والقوافي، وغُصنُ
البشام، وكحل التصابي على مقلتيه.

كانت البيد تهتز من خفقة العيس لما يبوح الحداة

من السيف يحني رقاب الطغاة

من النقع مثل السحابة تحت السنايك

يصونُ الممالك

تحمي عروش الولاة

كانت البيدُ يا فارس البيد، فيها يصول الكماة

والفيالقُ والبرق، والبيرقُ الحرُّ يعزفُ موالَ أبنائنا

الواقفين أمام الجذور مع نجمة الصبح، أثنوا بهم ملءُ

أفواههم يتقفون القسي، يجلون وجه الرماح

ينأدون حتى على الفتح

حيي على القصف

حيي على المتعبين السلاح^(٥٨)

يمثلُ المشهد الشعري في هذا الجزء السابق من القصيدة بكل مفردات الفاعلية في ماضي الأمة، فالصورة الشعرية يتوائبُ فيها النبض والحياة وعوامل الإنبات والخصوبة- وهذه هي سمات الصورة الشعرية فيما يتصل بماضي الأمة في قصائد د. صالح دائما كما سنعاين عند تحليلها- تتزاحمُ في الصورة رقاب المطي، والقوافي، وغصون البشام، والعيسُ والحداة والكحل، ونقع السنايك، والكماة، والفيالق، والبرق والبرق، حراس الحنور، ثاقفو القسي، والمتعبون السلاح.... هكذا تتجاوز عناصر الحياة، والزجولة، وجمال الكون، والأعراض المصونة، والكرامة المنتصبة في ماضي الأمة....

وحين ينتقل بنا الشاعرُ إلى الحاضر الراهن، ينتقل إلى دلالات مغايرة، وصورة شعرية مضادة للسابقة، ومناخ نفس مباين، حتى نستشعرُ أننا ننتقل إلى لون حديد من الرثاء العربي، هو رثاء الهوية والكيان الجمعي، وهو لونُ جديد من الرثاء أفترضُ أنه وجد في الشعر العربي بوضوح باكتمال فني ورؤيوي منذ نكبة فلسطين ١٩٤٨م وهو يختلف

تماماً عن رثاء المدن والممالك الذي صاحب سقوط بغداد في المشرق،
وسقوط الدويلات في الأندلس، بما يحتاج إلى دراسة نقدية مستقلة.

ينتقل الشاعر إذن إلى هذا المناخ المأساوي حين يستعرض حاضر
الأمة واصفاً غياب القوة والفاعلية، يقول متابعاً في ذات القصيدة:

كان يا ما كان يا ابن قتيبة

وطوى البيد كف الزمان

فلا الوجه وجه المليحة

ولا العاشقون هم العاشقون

كان لم يطف في رباها المني

ولا خالد بن الوليد

ولم يتغن (امرؤ القيس) بالدوح في (حومل) و (الدخول)

ولم ينشد العوذ فيها " لبيد"^(٥٩)

وكما تتحول عناصر الأمة من القوة إلى الضعف، تتحول الأرض
برمتها، ويتحول الشعر أيضاً، وترين عليه مظاهر الضعف ويفقد تأثيره.
الشعر يصاحب الأمة في رحلتها دائماً في هذه الرؤية الشعرية، في أزمنة
للضعف، وأزمنة القوة وهو يحمل مع هذه الأمة أقدارها، ويلج معها ذات
المصير. يقول الشاعر:

" البيد يا ابن قتيبة ما عادت البيد

والشعر ما عاد - فيما يقولون - يهتز منه الوريد

يقولون : مات الوريد

يقولون : مات النشيد^(٦٠)

وفى قصيدته " شهادة حياة" يجعل الشاعر تغيب الفارس جزء من
تراجع الأمة، لذلك يبدأ قصيدته بوصف مظاهر الضعف فى الذات
العربية، وكيفية تحول الحياة إلى شيخوخة وذبول، يقول:

شاخ الهوى، والتوى القيصوم والشيخُ

وأورقتُ بين جنبيك التباريح

وكيف لا.... والعرائن التى سجدت

لها النني، ماؤها للبيد مسفوحُ

وكيف لا،والسيوف البيض مطرقة والفتحُ أغنية سكرى وتصريح

تبدأ القصيدة بشهادة فناء "لا" شهادة حياة" - كما يعدُّ عنوانها- إذ يغلب
الفناء على كل عناصر الكيان بادياً فى: ذبول الهوى، والقيصوم والشيخ،
ضياح ماء العرائن، إطراق السيوف، بدد دلالات الفتح.

وهنا ينتقل الشاعر إلى أقوى مظاهر الفناء، ونعني تراجع قوة
الفارس، ونلاحظ هنا أنه يطرحُ هذه المظاهر فيما يشبه المونولوج، وكان
الفارس هو الذات، ذات الأمة وذات الشاعر. يقول:

يا غارقا فى رماد الحزن، أتعبني أن تتطفئ بين عينيك المصابيح

أن يصدأ العزم فى الجلى كما صدنت فى راحتك المرايا والمفاتيح

يا غارقا فى وعود الزيف، خدنا وعد، وباب إلى اللائى مفتوح

تتغلب معالم الفناء كل كيان الفارس فهو: غارق فى الحزن، منطفئ
المصابيح، صدئ العزم....، كما يلحق الوهن بما يتعلق به من رؤى،
ومفاتيح المجد، والفعل.

المناخ العام الذي يحيط كيان الأمة والفارس مناخ وعود زائفة، مناخ
تخدير، لذلك فالأمة تقف على أبواب مفتوحة على اللاشيء، مفتوحة على
ضياح.

يقص الشاعر سيرة الرماد، ويعود بالذاكرة مسترجعاً أطرافها، يقول:

خمسون عاماً على الأشواك مبحرة جلودنا، والفؤاد الحر مذبوح
خمسون عاماً، تعاويد وهممة أحجية سرها المكنون مفضوح

سيرة الذات العربية والإسلامية في هذا الطرح إرهاب، ومكابدة وفؤاد
مذبوح، ووعي ناقص يتجلى في الهممة والتعاويد. لذلك يقول واضعاً
المحاولات للوصول إلى المحال:

نخيطُ في الصخر ازهاراً، وقافية موتورة، عاشقها الصمت والريح
وأنهر الخوف تجرى في مفاصلنا وفوق أهدابنا تسمى التماسيح

يتجلى الضياع واضحاً في الصورة الشعرية هنا، مائلاً في ضياع
الأزهار بالريح، وضياع القافية بالصمت والخوف، وانعدام الرؤية هذا كله
يمثلُ معاً حاضر الذات المترمدة.

لكن الشاعر يشير في نهاية هذا السرد التراجيدي لسيرة الكيان إلى
اشتغال الرماد على جمرة كامنة، يقول: ^(١١)

إن كان في قلب من أحببته صداً فسوف، يصقله الله تسبيح
أجسادنا ربما ماتت، وقد بعثت رفاتنا، لم يزل في عمقها روح

هذه الروح هي الجذوة الباقية في الرماد، هي الجمرة التي لم تنزل،
والتي - ربما- أراد الشاعر من خلالها أن يشير إلى إمكانية الحياة،
والبعث من جديد، ولهذا عنون قصيدته بـ " شهادة حياة".

في قصيدة " مرثية الفارس المستقل" يصف الشاعر أيضا فعالية الأمة
والفارس في الماضي، يصف الطموح الذي لم يكن يهدأ، إلى أن استدارا
الزمان، وران الركود على هذه القوة، يقول ويخاطب الفارس فيما يقول:

ما استرحنا، والكدح يبدو جميلاً حين يأبي الغرام ألا يريحا

واستدارت عقاربُ الوقت غربا فبدا قصرنا العظيم ضريحا

والدماءُ التي أرقنا، تجلت بين عينيك نصرة وفتوحا

نصف قرن طحنتنا ما تعبنا ما شكونا لمن نحب الجروحا

واختصرتم جهادنا في سلام صار فيه العدو خلا نصوحا

يقول واصفا كيف كان قهرُ القوة، وإحباط عزم الفروسية وخيبة الثأر
العربي:

وشطبتم وجوهنا بقرار ورجعتم بغزة وأريحا

نصف قرن كنا نعاقر وهما لم يكن يملك المناضل روحا^(١٢)

الأمة في قصيدة " الريحانة" ريحانة زاوية ذابلة، واقعها مدمي، فقد
تشتيات، وتشتطت، حتى تمكنت منها هزائمها، وحتى اعتادت على
مذاق الهزائم، ولم تعند تستكرها يقول د. صالح:

على أنقاضنا ولدت صروح وفوق جباهنا حفرت ندوب
وتحت وجوهنا نبتت وجوه على قساماتها نبتت الشحوب
وبين ضلوعنا بدأت حروب وفوق ظهورنا ختمت حروب
شظاينا تطيرُ بلا شظايا فنصف بلاد أمتنا جيوب^(٦٣)

فى مثل هذا الواقع تصبح شهادة الشاهد على العصر - فى أى هيئة
كان هذا الشاهد - شهادة على الترمد والتحلل للكيان يقول الشاعر:

" يرسم

أ

ن

ا

ت

جريح

يرسم شيخاً، فوق نبيح

يرسم أمه

تخرج من عمق

ض

ر

ى

ج " (٦٤)

الشاهد على العصر فى هذه الرؤية، شاهد على عصر الهشاشة،
والقتلى، والأضرحة، والموت، فى هذه الرؤية الشعرية المجابهة.

هذه القراءة المرهفة الواعية لواقع الأمة، دفعت الشاعر إلى إيجاد صورة جديدة ودلالة جديدة لمفهوم " الظل " الذي عايناه في الشعر العربي القديم، حيث تبدو الأمة في الطرح الشعري للدكتور صالح الزهراني ذاتها أطلاقاً خربة، رسوماً دراسة، منتهمة في كل مشاهدتها ونواحيها، ونعائناً في هذا الظل مفرداته، ولكن بدلالة جديدة، نعائناً النوى والرسوم والفتاد والريح والبعر وأثار الأحبة، ولكن في طرح مغاير...، حتى كأن الظل الجاهلي يمتد فينا- بما سنعيه عند تحليل البنية الفنية لقصيدة د. صالح - نرى مشهداً ونموذجاً لأطلاله الجديدة في قصيدة " سؤال " حيث يقول:

قرأ الكف والوجوه الحيارى والزوايا وما طولة الظلال
فاستبان صبرة وقتاد ورسوماً تحنو عليها الرمال
وجهاً تداخلت، فتتاعت وتلاشي جنوبها والشمال^(٦٥)

تولدت المشاهد الطليية من ملامسة عجز الأمة في واقعها الراهن، هذا العجز الذي فرض وجوده على المعجم الداخلي والصورة الشعرية في هذه التجربة المتميزة، حتى إن شواهد الحياة، وعناصر الكون في قصائد د. صالح تقع دائماً في شراك الموت والقيّد، والفناء. يقول في قصيدة " سؤال ":

إن غصن الأراك يحيا كسيحا وتموت النخيل وهي طوال^(٦٦)

الحنن: دلالاته الخاصة ومثيراته الرؤيوية

الحنن الذي يصف د. صالح مكابذاته ومذاقاته في تجربته الشعرية حزن عميق غائر متولد من رؤية عقلية ناضجة واعية للواقع، والحياة الإنسانية، متولدة من خبرة، وطول تأمل ومقارنة بين أطوار للزمان، ومراحل التاريخ، متولد من وعي بأطوار الأمة وتحولاتها، ومقدراتها،

وإمكاناتها، وكبواتها الحزن هنا موقف رؤيوي عقلي هيمن على الوجدان،
وليس مشاعر عابرة أنية: تابعة من عابر أني تزول بزواله.

وهذا الحزنُ بهذا المذاق، وهذا العمق هو المتبطن للتجربة الشعرية
للدكتور صالح، الحزن باعتباره موقف فكري نابع من مأساة الأمة، نافذ
مخترق لمظاهر السطح الخادعة إلى حيث عمق عظام الكيان العربي وما
خلف العظام!

والشاعر هنا في هذا الطرح لا يعي كونه حزينا فقط، ولكنه واع بدرجة
حزنه، ونوعه، وبأن حزنه موقف من الواقع لن يزول إلا بتغيير تاريخي
متفجر، حزن يتبطن في داخله الغضب والرفض لانتهزامينا، ممتزج في
ذاته - في نفس الوقت كمفارقة- بمشاعر كثيرة تجتاحه من اليأس والأسى
والانتهامية!

بهذا التعقد يبدو حزنه الطاقة التي يشحن بها وجوده كما يصوره في
قصيدته " لغة خارج الأبجدية" يقول:

أنا مشحون من الصمت إلى الصمت

إلى بر السكون

في صهاريج من الأحزان غادرت معي كفي ووجهي وبقيني

وحروف نبضها قلب أب بر، شجى أم حنون

أنا مفتون بأحداق الثكالي

مبحرٌ في دمع أبناء الشجون

مورق في الصخر، مكتوبٌ على الماء بأقلام السنين

أنا مقتول بأحلامي ، وآلامي، وحسني وظنونني

في دمي أشعلت تاريخي حريقاً، وتلّيت

على النار بجذعي وغصوني

فنما فوق رمادي قمر حر

وساقا زيزفون^(٦٧)

وفى قصيدته " طواف " يصف الشاعر حزنه بأنه امتداد لحزن أمته، وأنه
تابع من حزنها، يقول:

يا قبلة العشاق نصف قصائدي

حزنُ لحزن الناس، لا أتكر^(٦٨)

ومثيرات الحزن، ودواعيه في هذه التجربة الشعرية ليست فردية، هي
نابعة من حال الأمة، لهذا فإن سيرة حزن الشاعر، هي سيرة تاريخ الأمة،
وتكون مراحل ضياع مجدها، هي ذاتها تاريخ أحزانه، يقول في " البكاء
دماً":

بالأمس كان يكيلُ الزهوُ مبتسماً واليوم وجه عبوس -بمير مبتسم

بُنِيَّ هذه هي المأساة مائتة فانظر بريك من خصمي ومن حكمي

كانت سنايك خيلي في جماجمهم مغروسة، وعلى أكتافهم علمي

فأصبحت قبلي الأولى منكسة لما تبعت إلى درب الردى قنمن

ودعته وأنا أبكي على زمن الحق فيه عذا ضربا من التهم

أبكي، وأعلمُ حجمي يا معذبتني فآلهمُ أكبر من حجمي ومن هممي

لكنني أحمل الأتقال محتسباً فالنوم فوق الرزايا ليس من شيمي^(٦٩)

يصف العلاقة الجدلية المعقدة بنية وبين مجتمعه، وأمته في قصيدته " في حضرة الملكة"، هذه العلاقة التي يكون فيها ضعف الأمة مفجراً لحزنه دائماً، يقول:

يضيق رحباً المدى بي، ينطوي بيدي

في الهم، لا فرق بين الشام واليمن

عمامة من صفاء اللبوح ألبسها

غلالة من نقيع الحزن تلبسني

أمتدُّ فوق الفياقي خضرة، لهياً

ضدان، ما ننبُ هذا القلب يا وطن

أنا أبوح، وأنتِ أحرقي ودمي

وأنت كل الذي يأتي به زمني

المأساة تشمل الشاعر والأمة في هذه الرؤية، فالصلة بينهما صلة مشيمية، لذلك يحتلُّ كيانه الحزنُ حين يخيب -اء الأمة، فيعجز أن يأتيها فارساً فانياً، كما كان يفعلُ في الماضي المجيد -نه الآن عاجز مثلها، يقول الشاعر في ذات القصيدة السابقة:

وليس ننبى إذا ما راب ، لبني (٧٠)

أنت تصبين في قلبي، فأمخضه

شربت منك المآسي فاشربي وهني

أنا وأنت خلقنا هكذا وهنا

سيفي، يسوقون قبلي ألف مرتهن

كم كنت أمل أن آتيك معتجراً

كأنني في الهوى "سيف بن ذى يزن"

أغد أجرد طواحا، وأغنية

عرجاء، أقبلت أبكي لابسا كفني

لكنني جنّت منكوساً، وراحتلى

فلا تزيد جراحي وأفهمي لغتي ولا تبيعي، كما باعوا بلا ثمن
تفرسي في عيونني، واقرئي تعبي فأنبكل الناس من يطوى على حسن
هات فؤاداً بليداً، لا يورقه همّ الوري، وخذي شعري بلا شجن

" البكاء دماً" في هذه القصيدة، والحزن حتى النخاع يتولد من مشاهد
سلبية الأمة، لذلك لا نعاين الحزن في شعر د. صالح مرهوناً بمواقف
شخصية، لكننا نراه يتعلق دائماً بأحوال الذات العربية، يقول:

أبكي دماً إذ أرى القعقاع عائدة فلوله بين مأسور ومنهزم

تشجيه هذه البطولة الغائبة المغيبة، لا لتراجعها فقط، بل لإذلالها في
الواقع الراهن، وهذا أحد مسببات حزنه، يقول مسقطاً واقعة على شخصية
" القعقاع":

أبكي دماً، إذ أرى (القعقاع) في يده قيد يساق به في (هيئة الأمم) (٧١)

إباحة الكلاء- أو - استباحة الكيان من دوافع هذا الحزن كما يبدو في قوله:

أبكي دماً يا مدار الشعر، حين أرى مهد البشارات ينبوعاً لكل ظمي (٧٢)

والحزن من بين مفردات الصراع بين الشاعر الرائي، والمجتمع الغافل
اللاهي، كما يصور الشاعر في قصيدة " الكون الفسيح" مخاطباً " الآخرين"
الذين توقف نبضهم عن الإحساس بالواقع، وتلمس حقيقته، يقول:

لا تلمني، فلا يلام الجريح حين يشكو، وحين تشكو الجروح

لا تلمني، فلا يلام طريد لا يلام المظلوم حين يصيح

لا تلمني. لم خافقاً بين جنبيك لم يخفق، لم تحتضنه القروح
وأنا لن ألوم من مات حساً إنما اللوم للذي فيه روح
لا تلمني: وجهي يلوم صنيعي وفؤادي فوق المأسي طريح
كم أرى في الوجوه مثلك وجهاً عربياً، عن كل خير يشيح^(٧٣)

يطرح د. صالح الحزن والوعي متلازمين في تجربته الشعرية، فتاريخ
حزنه هو تاريخ وعيه بموقفنا الحضاري، هو تاريخ وعي الشعر. يقول
في "سؤال":

منذ عشر، والشجوة يغزل شعري فحروفي قوافل ورحال^(٧٤)

ولأن الشعر والشاعر كيانان متضامان في طرحه، يصف الحزن بأنه
صبغة قصائده، ويصف شعره بأنه نسج من خيوط الأسف، يقول د. صالح
في "بهو الفيروز"، واصفاً القصيدة:

غني لها الغواص، جانبيها حبل الدلال، فكاد ينخطفُ

ألقي شباك الصيد، أرهاقها فأتت، وملء خيوطها أسف^(٧٥)

ولأن الحزن جزء من تكوينه، نرى في كثير من قصائد د. صالح
اعتراض هذا الحزن اللحظات الإنسانية للشاعر، فهو يقتحم عليه إحساسه
بالأبوة، يقول شاكياً لابنته "أروي" هذا الحزن المتوطن في الفؤاد:

يضيقُ المدى في ناظري يا صغيرتي وحين أرى عينيك أتركه رهوا

تحاصرني الأشجان من كل جانب ومن أجل هذا الوجه أبتلع الشكوى

والاغتراب أحد بوابات الحزن ومدخله في هذه التجربة الشعرية، اغتراب الرؤى، واغتراب الوعي، وبقين الشاعر من انفراده بهم الضمير الجمعي دون جدوى، حتى يبدو الحزن قديراً لا فكاك منه. يقول في قصيدة "توازن":

صرتُ للحزن قِبلة	ومطارا، وموطنا
فالأسي لم يجد له	غير جنبي مسكنا
إنها قصة الوري	يتعبُ الفقر والغني
كم فؤاد محجل	ضووه قندل النني
طار في غير سريره	فتهادى وأذعنا
فخذيني بلوعتي	واقبليني كما أنا ^(٢٧)

البحث عن الحقيقة.... البحث عن الخلاص:

ظاهرة شعرية مميزة يلحظها الناقد والقارئ في شعر د. صالح الزهراني، هي امتلاء هذا الشعر بالأسئلة، أسئلة حول كل ما يتعلق بالوضع العربية والإسلامية في الماضي والحاضر يبحث الشاعر عبر أسئلته هذه عن أسباب ضياع المجد والبطولة، وغياب الفارس، غموض المصير، كما يبحث عن أسباب الخلاص، وإمكانية البعث، وخروج الحياة من رماد الذات المحترقة.

وأية الكثرة اللافتة لاسئلة الشاعر في حد ذاتها تدل على انشغال الوعي بتفاصيل الواقع، ويقظة الوعي بقضية المصير، كما تدل أيضا على حيرة العقل أمام إشكالية الأمة.

الأسئلة الشعرية حول المصير:

من بين الأسئلة التي يطرحها الشاعر: السؤال عن أسباب تراجع الفارس العربي، وذلك، وموت شموخه وكبريائه، السؤال عن منبع هذا التحول الذي أتاه. يقول في " كائن بلا هوية":

من أي نهد شربت الصمت والوجلا وأمهاتك صيرن الشجي أملا
من أين عممت هذا النذل ما عرفت أرضُ الشياطين لا نسرا ولا حجلا
ويصل به الأمر إلى حد إنكار الفارس، لأنه يحمل من ماضيه بقايا
ملاحح تشير إلى الكيان الذي قد كانه، لكنه مع ذلك ليس فيه روح الفارس
القديم ونفته، يقول الشاعر:

كيف انحنى فيك هذا الرأس يا قمرا بزهو عينيه كنا نضرب المثللا
يبحث الشاعر عبر أسئلته عن هذا الفارس، بعد أن افتقده وطال الشوق
إليه، والحاجة إلى وجوده، يقول في قصيدة " واقعة":

كنتُ أسأل عنه الثرى وغصون البشام
كان يأتي فأسأل عنه دم الكائنات
يقولون: مَنْ هُمْ؟! (٨٠)

يطرح الشاعر أسئلته عن عجز الأمة: من أين أتاهما؟ وكيف وقع ذلك
للخطأ التراجيدي الذي أزاحها من موضعها؟ وكيف جمد سيفها وصدى؟
يقول في " هر مجدوه":

" أيها السيفُ السديمي المحنط
كيف نغلط؟ (٨١)

ويقول على لسان " الجندى العراقي":

قال لنا : ما بالكم

مسمرون في مكانكم^(٨٢)

وهو يسائل الأمة- التي أسكنها رمز " قبيلة باهلة" - عن صنيعها في الخطوب والأزمات. يقول في " منكرة قبيلة باهلة".

ماذا تصنعين إذا ألوى بك الخطبُ أوحل الظلام عدا

وحين تتزاحم عليه مشاهد الانكسار والضياع والأسى، يسأل الشاعر الضمائر التي تستمع إليه، - أو يسأل ذاته- من أى مشهد مأساوى يبدأ وصف المأساة؟ وهو يعبر بهذا السؤال عن كثرة مأسينا، وتعدّد موقفتنا للتاريخي، يقول في " ما تبقي من أحزان الرجال":

ما أصعبَ العار من أين أبدأ العارا وكيف أنشدُ يا تاريخُ ما صارا

ويسأل مستكراً- فى القصيدة السابقة- عن إمكانية تجاهل الشعر لمأساة الواقع وانشغاله عنها، عن إمكانية فكك الشعر من المسؤولية والاعتام والتأزم، يقول:

فكيف أسكتُ عن جرح يعذبني وكيف أكتبُ بعد اليوم أعدارا^(٨٤)

ويقول فى موضع آخر:

فكيف أكتمُ حرفاً بالأسى نضحاً^(٨٥)

الشاعر فى سؤاله السابق يستنكر أن يتخلّى الشعر عن التزامه بهذه القضية، يستنكر أن يكون له شغل غيرها، مؤكداً أن دور الشعر هو للتعبير عن أزمة الأمة التي لا يستطيع تجاهلها بحال، ولذلك- وبما أن هذا الأمر من المسلمات بالنسبة إليه- تصبحُ قضيته ليست مدى إمكانية

التزام الشعر، أو عدم التزامه، بل كيفية العثور على لغة. وإمكانات
تعبيرية تصوّر صدق انشغاله وتعبّر عن رؤاه. ونصف الواقع كما يجب
أن يكون، يسأل عن هذه اللغة، وهذه الإمكانيات في " ما تبقي من أحزان
الرجال"، يقول:

من أين لي لغة نشوى أحملها همي، فتحمل عني البلح والنارا

من أين يا أمة أمهرتها ألقى سقيتها من شبابي الغض أنهارا^(٨٦)

كما يتساءل في قصيدة " الريحانة" - متشككا- عن مدى جدوى الشعر،
وفاعليته، وتأثيره في الواقع، يقول:

ولا أدري إذا أسرجت شعراً أشق به الركام، من المصيب^(٨٧)

إشكالية الأسئلة هي أنها متضافرة في هذا الطرح الشعري، فالشاعر
ممثل للأسئلة، وممثل بحيرة البداية: بداية المأساة التي تجول فيها أسئلته.
ولذا- وكما أشرنا سابقا- يكثر في قصائد د. صالح " بنية تعبيرية" مميزة
لشعره هي قوله " من أين أبدا"، وبنية أخرى ملازمة لها هي: " ماذا
أقول؟" دالتان على تزامم الرؤى وكثرة المقول، وتعدد بقاع الطلل العربي
في مخيلة الشعرية. يقول في " ما تبقي من أحزان الرجال":

من أين أبدا كل الأرض موحشة تمتد آفاقها ظلا وأستارا^(٨٨)

ويقول في موضع آخر:

من أين أبدا والمشاعر جمة من تحت جلدي نبضها يتقجر^(٨٩)

كيف يقوم الشعر برسائلته؟ سؤال مما يقض فكر الشاعر - لا مضجعه
فقط- يقول في " فارس الضحي" :

وها هي حروفى مسرجات ظهورها لأمتها، لكن من أين تركيب (٩٠)

إعياء الشعر، وإجهاده قضية من القضايا التي يطرحها الشاعر من خلال أسئلته، وهو يسوقها على لسان صبي صغير يرمز للمستقبل الوارث للهموم، يقول في " اعترافات شاهد الموت".

فيرى صغيرى أحرفى تعبت فيقول: ما للحرف يا أبتى؟ (٩١)

ومثلما يتساءل الشاعر عن أسباب التمزق، يسأل عن إمكانية الانتماء، وعودة القوة بعد ضعف، يقول في " وصية حرام بن ملحان" في هيئة استنكار واستبعاد:

مزقونا، وكيف يلتام شعب بين عينيه يولد التمزيق (٩٢)

وفى قصيدة " سؤال"، يطرح الشاعر عدة أسئلة يصفها بأنها محال، لأنها تدور حول تفاصيل المأساة، وأسباب غياب موجبات القوة، وصدق القول. وكيان الفارس، والسيف. يقول:

" يا أبى... للحروف عندي سؤال

مستحيل، وكل عذب محال

فلماذا لا تصدقُ الأَقْـوال؟

ولماذا لا ينحب السيف سيفاً

ولماذا لاتزأر الأشبال" (٩٣)

يسأل الشاعر عن الحرية الغائبة، وعن إمكانية بعث أمة مقهورة مكمة، يقول في " طواف":

من أين يصدخُ شاعر بقصيدة والرعبُ يضحك والمدافع تزأر

قل لي بربك: كيف تنهض أمة يبني لها نعباء هذا الفسوز

إن أسئلة الشاعر في هذا الطرح المتميز بلا إجابة في الغالب، وفي بعض المواضع يحيل الشاعر أسئلته إلى التاريخ ورموزه، إمعانا في وصف العجز عن إجابتها، أو العجز عن المجاهرة بهذه الإجابة، أو إمعانا في وصف الحاضر بالغيوبية، والماضي والوعي. من بين هذه المواضع الحاملة لهذه الدلالات قصيدة "تلويحة"، حيث يتساءل الشاعر دهشاً عن المحبين المخلصين، أين غابوا، لماذا غابوا، وكيف صارت دماؤهم ماء وتغيروا، يقول:

" حينها قلت يا عمتي : كيف صارت دماء المحبين ماء

فأغضت

وقالت : أجب يا عمر^(٩٤)

تدور أسئلته كثيرا حول اغترابه، وتأثير هذه الأسئلة شعوره بالاستتكار من مفارقة أن يجازى على حبه للأمة بالإزاحة والإبعاد والإيحاش، يقول في " السيف والوردة":

في طباع الحياة سر عجيب كيف هذا الهوى يولد بغضا؟

رغم كثرة هذه الأسئلة مما أوردنا منها، ومما لم نورد - نلاحظ وجود دلالة متكررة متعلقة بهذه القضية في شعر د. صالح وهي تأكيد معاناته الداخلية من أسئلة لم يطرحها، ومكابدته من كثير منها مما لم يشتمل عليه شعره، لذلك فهو يكثر من الاعتراف بأنه لم يقل بعد أسئلته، ولم ينكر منها ما يجب ذكره، يقول في قصيدة " الهدف":

" ولما سألتك عما جرى^(٩٥)

ويقول في " بهو الفيروز":

وتظل في الأعماق أسئلة فيها جواب للناس مختلف^(٩٧)

يضع الشاعر على كامل رموزه وأقنعتة التاريخية عبء إلقاء الأسئلة، والإجابة عليها، وفك طلاسمها، وغموضها، فيجعل - على سبيل المثال - الهم الأكبر لشخصية "السندباد" هو البحث في الأسئلة، فيبدو السندباد في قصيدته المسماة بهذا الاسم وكأنه مسافر عبر الأسئلة لا عبر البلاد، وتبدو الأفطار التي يواجهها هي خطر غموض الأسئلة المتعلقة بالمصير، وليست خطر الرياح والبحار والوحوش، ومع ذلك يترك السندباد لنا، وللشاعر باب الأسئلة مفتوحا، يقول:

" مع كل هذى المتاهات في الحسن يبقى السؤال وببقي

المسافر في أليم يجثو على كاحليه يصارع مد الجمال

وجزر الجلال فإن غاب لا تبحتي عن سبب"

السؤال في هذه التجربة الشعرية - منبقة الحيرة والألم والعذاب الإنساني، لذلك يهدى الشاعر تلويحته، وبوجهها للسؤال المتجنر في الدم، والجواب الحائر فيه، يقول:

" للسؤال الذي لم يزل في نمي غائرا

للجواب الذي لم يزل في فمي حائرا"^(٩٨)

دلالات الرحلة في التجربة الشعرية: البحث عن الرؤية:

تسمة السفر والارتحال تيمة مميزة في شعر د. صالح، بارزة فيه وتبدو عند ربطها بظاهرة الأسئلة في هذا الشعر، وكأنها مدفوعة بهذه الأسئلة، وكأنها نتيجة لكثرتها وزحامها على عقل الشاعر، وكأنه يرتحل ويمسافر - وفق دلالات السفر التي سنراها في شعره - بحثاً عن إجابات

لأسئلته هذه، وهربا من غموض محيطه، وانعدام الإجابات الشافية، أو هربا من مواجهة الحقيقة المؤلمة.

تبعاً لهيمنة فكرة السفر على هذه التجربة الشعرية تتردد كل طقوس الارتحال في القصائد، وكذلك كل أدوات السفر بدلالاتها الحقيقية والرمزية، ويتزىي الشاعر بزى المرتحل الجواب، ويلبس شخصه التاريخية والرمزية هيئة الشعر دائما.

الشاعرُ في هذا الطرح إما مسافر، أو معتزم للسفر، أو مرتج له، أو عائد منه بصيد ما، قد يكون الرؤية - وهذا الأساس - وقد يكون الألم والندم - أو الإحساس بالقهر والعذاب، أو صدمة تلقي الحقائق.

ترتبط فكرة السفر في هذا الشعر بالبحث والتقيب، وطلب غاية يُصرح بها الشاعر في مواضع، ويجعلها غامضة في مواضع أخرى، ويشير إليها إشارات رمزية في مواضع ثالثة بما يمنحها أبعاد رؤيته الفكرية.

والارتحال أو السفر في هذه التجربة الشعرية يكون في الغالب بحثاً عن تفسير لإشكاليات الواقع العربي والإسلامي، بحثاً عن الخلاص من وضعيتنا المتأزمة التي حوصرت فيها ذات الأمة وذواتنا الفردية المهمومة بهذه الأمة.

السفر في هذا الشعر بحث عن رؤية كلية، وبحث عن رؤيا أيضا بما تتضمنه هذه المفردة من إشعاع دلالي يمنح الإحياء بالإلهام والحدوس واختراق المجهول، ويصرح الشاعر في كثير من المواضع بغايات السفر والارتحال كما يقول في "قصيدة لم تكتب":

بحثاً عن الرؤيا عن الأغرَب عن كل معني في الهوى معجب

سافرت من نأى إلى غربة من نجمة ولهي إلى كوكب

أدامم الأفكار فى وكرها أصطادها فى ظلمة الغيب^(١٩)

غاية السفر التى يحددها الشاعر هنا، هى البحث عن الرؤيا، عن المعنى لذلك كان سفره ذا هيئة (معنوية)، وهو مع ذلك يتلبس الطقوس المعروفة للارتحال.

ولأن السفر معنوى بحثاً عن المعنوى، يرتحل الشاعر داخل كيانات هى فى ذاتها أسرار وأبعاد كونية- فى الأبيات السابقة- يرتحل فى حروف الشعر، النجوم، الكواكب، العيون، عروق الأرض، موج البحار...، يسافر فى كيانات لها سحر الغموض، وغموض السحر، وذلك ليوحى لنا أن سفره هذا خرافى أسطورى وليس واقعياً حرفياً وأنه رحلة عظيمة المكابدة محفوفة بالأسرار شأن رحلات القصص الأسطورى، وهى رحلة متوجهة صوب منتهى غير مطروق من البشر...، لذلك يصور ذاته جواباً فى أرض لم تطأها أقدام البشر، وهو لا يبحث فى الماهول، بل فى الغامض، لأن سفره دفين غامض ثمين ونفيس للغاية...، إن سفره بحث " عن خلاص الأمة وعن رؤيا تأتيه من الغيب، من الفكر، من التأمل من الإلهام، أو من التوشج بعروق الكون، والاتحام بصور الزمان، والبحث فيها عن مخلص من الواقع الردى.

هكذا يلاحظ القارئ لشعر د. صالح أن مفردة " السفر " فى هذا الشعر محفوفة بالسحر والغموض، والسياقات الميتولوجية.

كثيرة هى المواضع الشعرية التى نعثر فيها على هذه الدلالات كما فى قصيدته " أعراس الجلال " التى يقول فيها مخاطباً وطنه:

سافرتُ فى عينيك أبحث عن رؤى والشعرُ سر لا ينال محجب^(١٠٠)

ويقول فى " فلسفة " مخاطباً " البلاد " مبتهلاً، أن تمنحه ميلاداً جديداً أن تمنحه حلم الطيران، وكيونونة الطائر المسافر الجواب:

علميني كيف أمحو أرقى

واصنعيني طائرا من ورق

سافرى بي رؤية غامضة

لمدارات الهوى والألق^(١٠١)

ويصف فى قصيدة " سؤال " ارتحاله فى عروق السؤال! وأواجه
وغموضه إمعانا فى الدلالات الخرافية للسؤال، والانسياح فى العقلي
المعنوى لا المادى المباشر، يقول:

" كنت مسافرا فى لجة السؤال

أبحثُ عن مواجهي

أبحث عن واقعي

فلم أجد إجابة " (١٠٢)

السفر هنا فى غياهب السؤال، فى الوجد، بحثاً عن الكينونة والمآل.

وفى " الأعمى وخبوط البارود" يصف الشاعر ارتحاله منبتقاً من رحم
" التقوى" على براق من الرؤيا، ببوصلة سحرية، إلى حيث المحال،
فالعاية هنا (محال)، والسفر ذاته فى اللاممكن، ذلك أن الردى أمل" تون
هذه العاية التى أشار إليها الشاعر بـ" المرفأ التوني".

وخارطة الطريق هنا لا تكاد تختلف عن خارطة الأسفار فى رحلات
السندباد فى الأسطورة المعروفة، أو رحلات أبطال الأساطير والتراث
الشعبي عامة والأدبي بشكل أعم.

الشاعر هنا يمتطي خلقا مطهما خارجا من رحم معنوى هو رحم
التقوى،.... أما كوكب الأرض، ذلك الكيان المادى فهو جزء من
عناوينه- يستقل به الشاعر ويستصغر مداه فى رحلته العظيمة هذه- بما
يزيد فى إسباغ صفة السحر على هذه الرحلة، وبما يوحي لنا بأن الرحلة
رمزية يتجه إليه بمجموع فكرة وعقله، وروحه، ولذلك فهو يتخطى بهذا

الكيان حدود المنطق: منطق الزمان والمكان والقدرة البشرية- المحدودة. يتجاوز منطق العلاقات بين الأشياء ومنطق الإمكانية، بل يخطي الفواصل بين الإمكان والمحال، يتعدى كل هذا ليرتحل ارتحالا غير ممكن لكنه في ذات الوقت واقع وممكن في النفس والحدس والكشوف العقلية والتأمل.

وهذه السياقات الأسطورية التي يحيط بها الشاعر رحلته ليست إلا توسلا بقدرات فوق بشرية للوصول- أو محاولة الوصول- إلى المحال، إلى إمكانية الرؤيا وسط ظلام الواقع بما أحوج الشاعر إلى خرق المعقول، والتوسل بالأسطورة، يقول الشاعر:

خرجت من رحم التقوى على خلق مطعم وتركت المنتأى دوني
ما أبت من جهة إلا إلى جهة فكوكب الأرض شئ من عناويني
على براق من الرؤيا، ويوصله سحرية، وهوى بالبحث مسكون
لى غاية عندها يغدو الردى أملا ويصغر الحاجز النارى فى عيني
فتحت سفر المنايا واحترقت به شوقاً إلى عتبات المرفأ النونى (١٠٣)

السفر غاية الشعر فى هذا الطرح، يبدو من أهميته وكأنه ماهية الشاعر، وماهية شخصياته الرمزية. وهو هدف الذوات الإنسانية، وهدف كل كينونة فى قصائد د. صالح. بل إن الزمان ذاته يسافر فى هذا الشعر، كما يقول فى قصيدة " تلويحة".

للزمان المسافر عكس السفر

كل هذى القصائد لؤلؤة القلب، شلال هذا الشجى (١٠٤)

التاريخ ذاته كيان يسافر في " الحزن والبوابة"، يقول الشاعر:

" على فرس من النجوى

وتاريخ يسافر في عروق الريح"

الكيانات الرمزية ذاتها كيانات مسافرة- وفق رؤية الشاعر- مثل العصفور- الذي نراه رمزا للحرية في هذا الشعر- بصفه د. صالح في بحثه عن الحرية، والتحرر من القيود بقوله:

" وكان هناك عصفور يسافر في شحوب الباب" (١٠٦)

وفى أعلى درجات الصدق العاطفي، والانصهار مع الحبيبة، يسأل الشاعر حبيبته أن تسافر في دمه، بما يدل على أن السفر في وعيه الشعري قمة التوحد والانعتاق، والانتماء، والتماهي. يقول في " نصف بيت":

فسافري عصفورة في دمي وعن غصون الوجد لا تسألي (١٠٧)

يبدو الانسجام الفني بين أجزاء التجربة الشعرية واضحا في قصائد د. صالح الزهراني، على المستوى الكلي لهذه القصائد، وعلى مستوى التفاصيل أيضاً، ففيمما يتعلق بارتكاز الشاعر على مبدأ السفر، وحلم الارتحال في طرحه الشعري، نلاحظ انسجاما دلالياً وفنياً عالياً بين هذه الرغبة في الارتحال، وبين الملامح التي يصور من خلالها كائناته الرمزية، خاصة ما يتعلق منها بالفروسية والسقر، فالخيول والمطايا في شعر د. صالح تأتي - نتيجة الضعف العام للأمة- في صورة الضعف والعجز عن الارتحال متماهية مع صورة الفارس- وسنعاين هذا في التحليل الفني- بما يتسق مع رغبته الدائمة في السفر (الأسطوري)، أو السحري، وكأنه تعويض عن عجز نوقه وخيوله ومطاياها.

ولهذا نجد الشاعر يرتحل دائماً عبر الشعر، ويعتلى قصائده وقوافيه،
أى أن السفر يكون بالحروف وعلى الحروف ومن خلالها، وكان الشاعر
يعتبر حروفه مطايا لا تكل يقول فى قصيدة " قصيدة لم تكتب".

فالشعر عندى سفر دائم من ضيق دان إلى أرحب
عشرون عاماً حاملاً أحرفى ما كل ظهري ولا منكبي
ولا استطالت خطوتي تربيها ولا انطوى فى موجه مركبي
والشعر راحلته التى لا تسافر إلى الجذب، يقول متابعاً:

مسافر فوق شراع الهوى جعلت أسفار الهوى مذهبي
ما حل شعري واديا مجدبا لا يرتمي إلا على مُخصب

ونفائس الصيد فى هذه الرحلة هى القصيدة، القصيدة الرائية، حاملة
الرؤى والحقيقة. يقول الشاعر وقد تلبس روح السندباد، وجعل السندباد
شاعراً:

أعود وفى كفى أنشودة ندية كالوابل الصيب
بيضاء مثل الصبح عذرية مغطورة من خافق ملهب
قدمتها عندا لمحبوبتى هدية من عاشق معجب

وكما واجه السندباد أهوالاً وعجائب فى رحلته، يواجه الشاعر/
السندبادى هذه الأهوال، وهو يقدم عنته ومكابداته مهراً للحبيبة. يقول:

حدثتها عن رحلتى خلفها وعن عناء الفارس اليعربي

حروفها، ثقلت: لا تلعب

فتلقت أحداؤها وأحتوت

نظرة مظلوم إلى منذب

فأرسلت لى نظرة حرة

قصيدة بالقرب لم تكتب (١٠٨)

من طيفها أدركت ما فاتنى

إن السندباد فى هذه القصيدة رغم مكابذاته لم يفلح فى الظفر بكنز الرحلة، وهو " القصيدة" التى تنتظرها الحبيبة، وهى الوطن والأمة- كما هى دائما فى شعره- بما يشير إلى أن الشاعر يعتبر تجربته الشعرية كلها رحلة إبداعية باحثة عن القصيدة الغائبة التى لم يكتبها " بعد" ، وهى القصيدة التى ينتظرها وطنه، قوة طرح، وحرية رأى وصفاء رؤى... وكل هذا يشير إلى مدى اعتداده بالشعر، ومدى ثقته فى قدرة الشعر على تبصير الأمة، ومدى أهميته فى إشكالياتها الراهنة.

ملاحم الرؤيا ومرتكزات الخلاص:

عبر الأسفار المتعددة التى يقوم بها الشاعر فى جنبات الفكر والروح، والحروف، وجنابات الحياة، ويتزين فيها بزى الرحالة الجوابية، والمرتلين فى تاريخنا الإنسانى، تتجلى للشاعر عدة رؤى لخلص الأمة من أزمتها الراهنة، وهذه الرؤى تتميز بمرتكزاتها الخاصة المسنجة مع عموم الرؤية الشعرية فى قصائد د. صالح. ويمثل الخلاص الدينى " رأس هذه المرتكزات:

الخلاص الدينى:

هو معبر الأمة إلى القوة واستعادة ماضيها، وهو سبيلها- فى هذه الرؤية الشعرية- إلى إعادة البنیان وجمع تفاصيله المهشمة، هو العودة إلى الهوية، ومن ثم فهو فى الطرح الشعرى للدكتور صالح أول بوابة

للخلاص، هذا المرتكز الهام هو الرؤيا التي تحظى بها شخوص الشاعر عبر قصائده. يقول في "نهاية رجل مجنون":

تزهو المعارف ما شبت على هدف سام، وما شربت من سلبل الدين^(١٠٩)

وفي "رحيل الأحقوان" وحين يبكي الشاعر رحيل العالم الجليل" ابن باز" يتأكد لديه اليقين بأن خلاص الأمة وانعتاقها في صفاء القصيدة، يقول:

كل شيء يغدو لدينا جميلاً حين يهدي سبيلنا الرحمن^(١١٠)

الانعتاق بالعهيدة سبيل الخلاص، وهو السمة التي تميز الأمة عن كائديها وخصومها، وهو أحد ملامح "الخصوصية" كما يقول الشاعر:

لهم في الهوى مبدأ راسخ ونحن لنا في الهوى مبدأ

هم يلجأون إلى كيدهم ونحن إلى ربنا نلجأ^(١١١)

يصف الشاعر عبّر رؤاه تفاصيل هذا المرتكز، ويطرح خطوط الانطلاق إليه؛ وعلى رأسها أن يكون الانعتاق هاشمي التوجه منطلقاً من درب الرسول - صلى الله عليه وسلم - صافياً، كما كان في منبعه الأول.

يطرح الشاعر هذه الرؤية في كثير من مواضع شعره، ولكن من أبرز هذه المواضع قصيدته "جغرافيا الرقاب" حيث يسوق هذه الرؤية على لسان المكتشف الجغرافي "فاسكو دي جاما" مكتشف رأس الرجاء الصالح - ويجعله متغنياً بها، عبّر تغنيه بهاشميات الكميت، في طرح فني متميز يوظف فيه الشاعر رموزه التاريخية، وترميزه اللغوي لطرح هذه الرؤية، يقول:

"قالها البحر، ودي جاما يغني هاشميات الكميت"^(١١٢)

وبذا غدت "هاشميات الكميت" هي اكتشاف "دى جاما" أي أنها معادل
اكتشافه الجغرافي الحقيقي "طريق رأس الرجاء الصالح" وبتت -- من ثم -
هاشميات الكميت معادلا فينا لرأس الرجاء، وبذلك يتخذ رأس الرجاء
بدلالته الرمزية هنا معني ودلالة تتعلق بالرؤيا، هي دلالة لغوية مباشرة:
الأمل والهداية والسبيل الراشد، وتصبح هاشميات الكميت على لسان "دى
جاما" تبشيرا بالرؤيا، والخلص الديني.

وفى قصيدة "الباب الأيمن" وبعد أن يقص الشاعر تفاصيل آلام
مريرة مضت بالأمة، يصف انهيار الباب، وعناء التوق إلى الحرية
والوجود والكينونة، يقول:

" وكان هناك عصفور يسافر فى شحوب الباب

يقراً حرقة فى القلب مطوية

تبقى ويبقى الحب مازمجت

ريح، فيأريح الشجي دننني "

ويصور الارتكاز على العقيدة السبيل الوحيد لمواجهة كتلة التحديات
السافرة، والتي تهدد كياننا بالتلاشي والضياع، يقول:

طريقنا بوابة للتقى

نهراً من الإلهام لم يأسن

حديقة للشعر، منحي رؤى

منارة للزهو فى موطن

يعود جيش المعتدى مذعناً

وأنت للأواء لم تدعن

مرابطاً فوق خطوط الهوى

تحكي ثبات العاشق المؤمن

حزني على باب الندى خالد

على ممر الجذب لم أحزن (١١٣)

الارتكاز على العقيدة والخلص من خلالها هي رؤيا الشاعر منذ أول دواوينه " ترايتل حارس" لكلاً المباح" حيث يقول:

كيف لا أتقي خطا رسمتها رجل طه وقيلق الأنصار

مكة في دمي، وطيبة قلبي فالحقوا بي أو فاغرقوا في غباري

استعادة القوة والفاعلية خلاصاً:

من مرتكزات الخلاص في الرؤية الشعرية للدكتور صالح الزهراني استعادة كيان الأمة، من خلال استعادة القوة والفرسية والفاعلية الماضية، وهو طريق لا ينفصل، ولا يتعارض مع المرتكز الديني للخلص، بل ينسجم معه ويكمّله، حيث يدعو بيننا الحنيف إلي التمسك بالقوة والكرامة والعزة في غير اعتداء وبطش وتجبر.

تتصف القصائد الشعرية التي يصور فيها د. صالح هذا الطريق للخلص، بتماهيا الفني مع دلالتها، إذ تبدو القصيدة في حد ذاتها- وهي حروف وأصوات جيوشاً وفياق وخيولاً، ولذلك هو يصفها بذات الوصف كما يقول في "لوغاريتمات عربية"، فيؤكد أن قوة الشعر تتطلق من قوة الأمة، يقول:

تأتي القصائد خيالاً وصافنة
ونخلة في ذراها ينعش الرطب
إذا تجر من ظلماتنا قمر
ومن مطارات نوم أفلع العرب^(١١٥)
تمتلى القصائد المبشرة بالقوة- في شعر د. صالح- بروح الجهاد،
وأسماء الأبطال الفاتحين، وتفاصيل الفروسية.
يقول في "رحيل الأحقوان":

لغة الفاتحين قدح وضبح
وحسام وفارس وحصان^(١١٦)
ولذلك يستدعي الشاعر من تاريخنا كل رموز الفروسية يستنفر بهم
عروق المجد، والحنين إليه، يقول في "وجوه وحقائب بدوية":

عاشق أحمل في هذا الزمان
رعشة الحروف الجميلة
وبروق العنقوان
راحل سرباً من الضوء، من الصحراء للماء، ومن بوابة المجد إلي ملحمة الوجد
من عبق (الأرض) لنفح (الزعتران)
من قناديل (نبوت) السيف في نجد لزمرو القيروان
شاعر يا سيد الحجر يغني
فاحك عني
إنني أعتصر الجرح الذي يقتات مني
نشوة ثكلي، عروشا من تمنى
موغل "أبحث عن ميراث (عتبة)
عندما أنكره من باع حبه
وغدا أحفاده للناس لعبة^(١١٧)

وفي قصيدته "مواكب الجلال" يرثي الشاعر والدته، ويث إليها
مواجهه وأحزانه، وقلقله علي أمته، يناجيها كما ناجي "ابن باز" في رحيل
الأقحوان، مستعيضا بأحبته الموتى عن الأحياء الذين أوجعوه اغترابا،
وواصفا من خلال نجواه إلي المائتين مدى حاجته إلي صدق الرؤية
وصفائها حيث شفت أرواح الموتى وتخلصت من عبء الجسد وضجيجه.
وهو في نجواه للألم المائتة، ووصفه لأحزانه يصف سبيل القوة والمجد
مرتكزا للخلاص، يقول:

وإن لم نحي دنيانا بعز فيا أمي علي الدنيا السلام^(١١٨)

معوقات الرؤيا:

يتردد علي مدار التجربة الشعرية كثير من المواضيع التي يصف فيها
الشاعر مكابذاته من كثير من القوى التي تواجه رؤاه بالتعطيل،
والسخرية، والمقاومة.

ويقف المجتمع علي رأس معوقات الرؤيا، والرؤية، بانطفاء حماسه،
ولا مبالاته، باستغراقه في الأنبي من العيش، ومحدودية اهتمامه، واستلاب
كينونته، وشعوره بالأزمة، يقول الشاعر في مقولة التي تبدو من أقوى
قصائده تصويرا للصراع بين الرؤى الشعرية ومكابذاتها.

كلما قلت: مات القمر

صوح للنخل، شاخت عراجينه المتقلات

دار بنا الحزن دورته المفرحة

كلما قلت: مال الشجر

أشرع البحر كفيه مستجداً

طأطأ الصقر، نامت علي ظهره الأجنحة

كلما قلت: يا نائمين الحذر

إنني ألمح الدوح يمشي

علي ألف نعش

والمح دممة الأضرحة

كلما قلت: مدوا النظر

وأعدوا لهم ما استطعتم من الأسلحة

حوقلوا، ادخلوا في الجيوب الأكف

أخرج كل له مسبحة^(١١٩)

هكذا تعبر مفردة "كلما" في القصيدة السابقة عن العلاقة الطردية الأبدية بين مجاهدات الشاعر في الوصول إلي الرؤيا، وبين مجاهدات المجتمع لإطفاء هذه الرؤيا وإعاقتها، لذلك عنون الشاعر قصيدته بـ "مقولة" حيث ساهم المجتمع الغافل في تجميد فاعلية الشعر، وفاعلية الرؤي الصادقة لتكون محض حروف، وأقوال لا ترقى إلي حد الترجمة إلي فعل بارز نافع.

يتلبس الشاعر في قصيدته السابقة روح "زرقاء اليمامة" الرائية المحزنة لقومها من الخطر، وهو يحذر أمته من الظلام المائل في موت القمر، والجذب المائل في موت النخيل والمأساة والفجيرة الكامنة في دورة الحزن التي لا تنتهي إلا لتبدأ يحذرهم من العجز المتجسد في لنحاء الشجر، واستغاثة البحر وذل الصقور، والتحول الكامل لخريطة وجودهم علي الأرض، إذ يري الموت- لا قائما- بل قائما حيث يسمع منمات الأضرحة، وهياكل النعوش... وهو في ذلك هذا لا يطلب من مجتمعة إلا (البصيرة) التي عبر عنها في قوله "مد النظر"، ولكن المجتمع، وهذه هي صورته في شعر د. صالح في هذه السياقات- مجتمع سلبي يكتفي بمظاهر التدين: الحوقلة والمسبحة، ويبتعد عن جوهر العقيدة التي ترفض النذل والاستكانة والسلبية.

هذه الصورة هي ذاتها صورة المجتمع في "أحزان معتقة" حيث يقول الشاعر:

حملت لأهلي الكلمات زهواً وأهلي مذ ولنت لهم نياماً^(١٢٠)

يصور الشاعر في قصيدته "السفينة" منغصات الشاعر الرائي ومعاناته من تكذيب المجتمع وتجاهله، وسخريته، وضغوطه التي تحاول إجباره على تغيير المسار، والرؤي...، ويستحضر وسط هذه المكابدات، والصراع غير المتكافئ صوت الأمة وصوت الذات والضمير الإبداعي، وهو يبشر الشاعر بانحدار المظلّمين، ويقوي عزيمته، ويطلب منه الاصطبار في مواجهتهم، فهم الباطل الزائل، وهو اليقّين الراسخ، يقول:

"يراد منك أن تكون لا تكن

كن ما تحب أن تكونه

فأنت سيد الحروف، حارس الرؤى

والمظلّمون والدجي

طواهم السري

أغمد في أحشائهم سكينه

فتش عن قلوبهم، فلم يجد إلا قري خاوية

مدامعاً سجينه

يراد منك أن تكون.. لا تكن

تبارهم لو كان صاخبا سينطوي

مطأطناً جبينه

سيقبلون يجمعون... لا تكن

سيحشرون في ضلالهم ضحى

والوقت يوم الزينة"

يسوق الشاعر علي لسان هذا الصوت الممثل للضمير والأمة- مقارنة
واعية دقيقة بين الشاعر والحامل لرسالة الوعي، وبين المتسربلين بالظلام
الذين يبيعون تاريخهم، يقول:

"يراد منك أن تكون.. لا تكن

هذا الزمان موبق

بحفنة يبيع فيه المرء عرضه ودينه

يراد منك أن تكون.. لا تكن

فمن حروفك البيضاء

يخرج الصباح

تبحر السفينة..."(١٢١)

تسفر هذه المكابدات التي يعانيتها الشاعر من تجاهل المجتمع وغفلته
عن اصطباغ رواه الشعرية في كثير من مواضع تجربته بالكآبة والشجن،
والحزن، واليأس أيضاً في كثير من المواضع، وفي مواضع أخرى
تصطبغ لغته الشعرية بالثورة والتمرد والغضب من هذه المكابدات.

يقول في "الأغمي وخيوط البارود" واصفاً تحول وجهه وكيانه،
وانسلاخ آخر جديد من القديم:

نضي وجهي وجهه وارتحلت فوق أبعاد الزوايا مقلي

فأبت رجلاي إلا خطوة شطبت وجهي ودكت مقلي

يستولد الحزن هنا من انسلاخ الوعي الجديد وولادته التي تمت مع
ولادة الوجه الجديد للشاعر، لذا يتوجه لأمته، وبلاده التي يشير إليها بـ يا
سيدتي قائلاً:

أنا يا سيدتي مسترسل
في بطاح الحزن لا تسترسلني
سحنتي معركة ضارية
دمعة تجري بحد الظل
مبحر فوق خيول من دم
في لظي من حرقه مشتعل^(١٢٢)

الحزن الذي يصاحب رؤي الشاعر في طرحه الشعري متولد من
غموض المصير، من محاصرة الشاعر بأسئلة بلا إجابة، وانحصار
الوعي في واقع غير مشبع، وغير مرض له، يقول في "سؤال":

"فما الذي أغرق ضوء الفجر

أغري الشوق بالشجن

وأسكت الربابة

لأي شيء يا معنبي

زيتونة الكلام صوحت

وطاطات

ودلت المهابة

لأي لوعة

تعاقر الأشياء حتفها

وتعلن الكأبة...^(١٢٣)

الهوامش والإحالات

- ١- أطلقت تعبير "الحل الجمالي" في مؤلفي "القصيدة العربية المعاصرة" لأصف الدور الذي يقوم به الشعر في الحياة الإنسانية من حيث هو تحريض علي الجمال، والخير، واستئزاز للفعل النبيل، فهو يثير الأفعال، ولكنه لا يقوم بفعل مادي ملموس شأن العلوم التطبيقية- الهندسة، الزراعة- الطب- هو تحريض علي الفعل، ولكنه لا يقل في الأهمية عن كثير من الأفعال، لأنه يثير النزوع إليها.
- ٢- عرضت في "القصيدة العربية المعاصرة" أبرز العوامل التي أثرت في انقناع الشعراء العرب المعاصرين إلي الاتجاه الواقعي في الشعر، وعلي رأسها أبرز الأحداث التي مرت بالأمّة العربية منذ نكبة ١٩٤٨م.
- ٣- انظر: "القصيدة العربية المعاصرة". ص ١٢١.
- ٤- الموسوعة العربية العالمية. المجلد رقم ١٧. ص ٣٤٢.
- ٥- الموسوعة العربية العالمية. المجلد رقم ١٧. ص ٣٤٢.
- ٦- انظر: العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف. الطبعة ١٨. ص ٥٨.
- ٧- العصر الجاهلي. الطبعة ١٨. ص ٣٣٦.
- ٨- سورة الأنفال "الآية رقم ٦٠".
- ٩- العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف. ص ٣٦٦.

الهوامش والإحالات

- ١٠- الموسوعة العربية العالمية. المجلد رقم ١٧. ص ٣٩٤.
- ١١- الحيوان. الجاحظ. المجلد الأول. ج١، ٢. ص ٢٨٩.
- ١٢- أمل دنقل. المجموعة الشعرية الكاملة. ص ٣٩٩.
- ١٣- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٦٧.
- ١٤- الديوان السابق. ص ٣٧.
- ١٥- الديوان السابق. ص ٤٥.
- ١٦- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم" ص ٥٦
- ١٧- ديوان "ترائيل حارس الكلا المباح". ص ١٢١
- ١٨- ديوان "ترائيل حارس الكلا المباح". ص ١٠٩
- ١٩- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٣٤
- ٢٠- ديوان "ترائيل حارس الكلا المباح". ص ٤٦
- ٢١- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٤٦، ٤٧
- ٢٢- ديوان "ترائيل حارس الكلا المباح". ص ٨٥
- ٢٣- الديوان السابق، ص ١١
- ٢٤- الديوان السابق. ص ١١.

الهوامشي والإحالات

- ٢٥- الديوان السابق. ص ٢٣٠.
- ٢٦- ديوان "فصول من سيرة الرماد" ص ٧٣.
- ٢٧- الديوان السابق. ص ٦٥، ٧٦.
- ٢٨- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ٣٠.
- ٢٩- الديوان السابق. ص ٥٧.
- ٣٠- الديوان السابق. ص ١٢.
- ٣١- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".
- ٣٢- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ٩.
- ٣٣- الديوان السابق. ص ٨٦، ٨٧.
- ٣٤- الديوان السابق ص ٧٠.
- ٣٥- الديوان السابق. ص ٩.
- ٣٦- الديوان السابق. ص ٦٥.
- ٣٧- ديوان "فصول من سيرة الرماد" ص ٩.
- ٣٨- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".
- ٣٩- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٥٠.

الهوامش والإحالات

- ٤٠- الديوان السابق. ص ٤١.
- ٤١- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٦١.
- ٤٢- الديوان السابق. ص ٣٥
- ٤٣- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ٤٦.
- ٤٤- ديوان "ورقة من سفر الرويا".
- ٤٥- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ٨٥.
- ٤٦- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٥٨، ٥٩.
- ٤٧- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ٨٠، ٨١.
- ٤٨- ديوان "ورقة من سفر الرويا".
- ٤٩- الديوان السابق.
- ٥٠- الديوان السابق.
- ٥١- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ١١.
- ٥٢- الديوان السابق. ص ٦.
- ٥٣- الديوان السابق. ص ٢١.
- ٥٤- الديوان السابق. ص ٢٢.

الهوامش والإحالات

- ٥٥- الديوان السابق. ص ٢٥.
- ٥٦- الديوان السابق. ص. ٢٦.
- ٥٧- الديوان السابق. ص ٢٠.
- ٥٨- الديوان السابق. ص ٣٢.
- ٥٩- الديوان السابق. ص ٣٣.
- ٦٠- الديوان السابق. ص ٣٣.
- ٦١- انديوان السابق. ص ٣٩.
- ٦٢- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٥٤، ٥٥.
- ٦٣- الديوان السابق. ص ٥٨ - ٥٩.
- ٦٤- الديوان السابق. ص ٦٩.
- ٦٥- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٦٩.
- ٦٦- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٦.
- ٦٧- الديوان السابق. ص ٣٤.
- ٦٨- الديوان السابق. ص ٥٧.
- ٦٩- ديوان "تراتيل حارس الكلا المباح". ص ٣١.

الهوامش والإحالات

- ٧٠- الديوان السابق. ص ٥٣.
- ٧١- الديوان السابق. ص ٢١.
- ٧٢- الديوان السابق. ص ٣١.
- ٧٣- الديوان السابق. ص ٦٩.
- ٧٤- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٥.
- ٧٥- الديوان السابق. ص ٢٢.
- ٧٦- الديوان السابق. ص ٢٧.
- ٧٧- الديوان السابق. ص ٣٨.
- ٧٨- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٢٩.
- ٧٩- الديوان السابق. ص ٣٠.
- ٨٠- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٣.
- ٨١- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ١١.
- ٨٢- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٨.
- ٨٣- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٥٧.
- ٨٤- الديوان السابق. ص ٢٢.

الهوامش والإحالات

- ٨٥- الديوان السابق. ص ٢٦.
- ٨٦- الديوان السابق. ص ٢١.
- ٨٧- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٤٨.
- ٨٨- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٢٢.
- ٨٩- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٤٩.
- ٩٠- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٤٣.
- ٩١- الديوان السابق. ص ٤٦.
- ٩٢- الديوان السابق. ص ٤٩.
- ٩٣- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٥.
- ٩٤- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٧٢.
- ٩٥- الديوان السابق. ص ٦١.
- ٩٦- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٢٠.
- ٩٧- الديوان السابق. ص ٢٣.
- ٩٨- الديوان السابق. ص ٤٤.
- ٩٩- ديوان "فصول من سيرة الرماد". ص ٧١.

الهوامش والإحالات

- ١٠- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".
- ١٠١- الديوان السابق.
- ١٠٢- الديوان السابق.
- ١٠٣- الديوان السابق.
- ١٠٤- الديوان السابق.
- ١٠٥- الديوان السابق.
- ١٠٦- الديوان السابق.
- ١٠٧- الديوان السابق.
- ١٠٨- الديوان السابق.
- ١٠٩- الديوان السابق.
- ١١٠- الديوان السابق.
- ١١١- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٣٠.
- ١١٢- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".
- ١١٣- الديوان السابق.
- ١١٤- ديوان "ترانيل حارس الكلا المباح". ص ٧٦.

الهوامش والإحالات

١١٥- ديوان "ورقة من سفر للرؤيا".

١١٦- الديوان السابق.

١١٧- الديوان السابق.

١١٨- الديوان السابق.

١١٩- الديوان السابق.

١٢٠- الديوان السابق.

١٢١- الديوان السابق.

١٢٢- الديوان السابق.

١٢٣- الديوان السابق.

obeikandi.com

الفصل الثاني

الفارس الغيب: ولامحه، وضعيته الماضية،

وثأؤه!

obeikandi.com

الفروسية في الرؤية الشعرية للدكتور صالح الزهراني مزيج من المادي والمعنوي، والفارس كيان معقد يتمتع بالقوة في دلالتها المادية الجسدية، ودلالاتها الروحية والأخلاقية، فهو حامل لسيفه دائماً- في قصائد هذه التجربة الشعرية- قائم علي فرسه، متأهب بسيفه، وهو في ذات الوقت صاحب رؤية للوجود الإنساني، ومن ثم- فهو صاحب رؤية لإشكاليات واقعا العربي والإسلامي.

هذا الفارس يمتلك تفسيراً لتحولنا من الماضي الزاهي إلي الماضي المتأزم، لديه تفسير لأسباب التمزق والشذات، ولديه قائمة بالإدانة للأطراف التي دفعت الأمة إلي حاضرها القائم، وهو أيضاً صاحب رؤي للخلاص والنجاة من هذه الأزمة.

الفارس في شعر د. صالح ذو ملامح عربية محضه، في سمته وملامحه المادية والفكرية والمعنوية، وفي مذاقات مشاعره أيضاً. هو فارس متخم بالمروءة والتبيل والنخوة، والقدرة الخيرة، للقدرة الموجهة إلي خصال الخير: إغاثة الملهوف، والذود عن الحياض، عن الأنفس، وعن الشجر وعن السحب والماء والثمر، يمتلك حساً مرهفاً مرهفاً فهو في حالة شجي وحزن علي المانت والحى، المانت لغيابه، والحى لانكساره.

هذا الفارس منتم إلي المكان وإلي الإنسان في أمته، منغرس في تفاصيل الأشياء، مشيمي للعلاقة مع الواقع والأرض، ودود، فدائي، إيثارى، صموت، معتزل، متعفف شديد قوة الغضب، يكابد ثورة حارقة، ورؤية نارية للخلاص، يؤثر الفعل علي الكلام والوعود.

هذا الفارس يأتي في قصائد د. صالح بضمير المفرد، لكنه مستسخ من سلالة فرسان عربية، يشتمل في فكره ووجدانه وخلقه علي ملامح ابن قتيبة، والقعقاع، وسعد بن معاذ وعمر بن الخطاب، والمثنى، وخالد بن الوليد، وقتيبة بن مسلم، وغير هؤلاء من أبطال التاريخ العربي الإسلامي.

الفارس في شعر د. صالح الزهراني هو حارس الأمة، وهو يطالعنا بهذه الهوية في ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح" وهو فارس حارس حزين اجتهد في حماية كنزه، ولكن الواقع أعجزه، وتكالبت عليه عوامل الاستباحة، فالعون مفقود، والجمع مستهتر بحراسته، ورواه، لذا لم يستطع - رغم مرارته ونبله وجهوده- إلا أن يقدم تراثيله في صمت شجي.

الفارس في هذه الرؤية الشعرية الفريدة هو الشاعر أيضا وهو لا يبدو في هذه القصائد إلا شاعرا، فالشاعرية جزء من فروسيته، وترتيل القصائد ووعي الشعر جزء من حراسته وأدوات قتاله. وهو الساهر علي الأمة بقصائده الملأى بالتتوير والتحريض علي الكرامة، والإنهاض للحياة، والإدانة، والوعي.

الفارس في هذا الطرح الشعري فارس حارس شاعر راء لذلك فهو صورة فريدة مثالية للفروسية يقدمها لنا شعر د. صالح.

يتصف للفارس بالقوة في شعر د. صالح الزهراني في مرحلة ماضي الأمة إذ يكون في حالته المثالية قوة وفروسية وشاعرية وزهوا، يصفه الشاعر في هذه المرحلة بأنه مسار النور والرؤية والقوة والكرامة، والشاعرية، وهو في هذه الحالة منسجم مع تفاصيل الزمان والمكان، يقول في "شاهد العصر":

كان مساراً للصبح

فناًراً للقدام من مدن الريح

غماماً للظماً النازح فوق خيام الشفة/ المفضي

كان رؤيا في كل معني جديدة

خصبة، حرة العروة ولودة

راحلا في البياض، يحمل قلبا

عريبا، معلقا بقصيدة^١

يتبنى الفارس في رؤية د. صالح الشعرية ذات الرؤية التي ساقها للخلاص، فيرتكز علي الانعتاق الديني، فيكون التقى وصبوة المجد جزء من ملامحه، يقول:

"استباق الخطى، وفتح المآقي

والبشارات في رؤاه عقيدة

كان شيئا من التقى والتصابي

في زمان الغناء.. روحاً فريدة"^(١)

الفارس في هذه الأسطر الشعرية السابقة كتلة من النور. تتبدي في كثير من الكيانات في القصيدة، وهي: المسار، والفنار والبياض، والصبح.. هو كتلة من البشارة والتفاؤل والخير تتبدي في الغمام والتقى والتصابي، والمآقي المفتوحة.

وملامح هذا الفارس عربية محضة، هذا سمت العربي هوية الفارس والخيول، والقصيدة، وشاهد العصر، والشاعر، بل هي سمت الأماكن، والرؤي في شعر د. صالح.

وتاريخ الفارس في هذا الطرح هو تاريخ الأمة، وماضيه هو ماضيها يتواكب ان ازدهارا وأفولاً.

يصف الشاعر فارسه في "حاشية علي الجرح" بأنه فروسية متواثية
وكيان نوراني يجمع بين الفصاحة وغموض القوة ومهابتها. يقول الشاعر:

وفارس رجلاه في خفقاها روائع الأنغام تستلمح
ما اهتز حبل السرج من تحته ولا عرفنا مهره يجمع
فتوحه لغز وصولاته حصن من الأسرار لا يفتح
محجل مثل صباح الهوى مفرر مستوفز مفصح^(٢)

ولأن تاريخ الفارس هو تاريخ الأمة نراه قوة معطلة مأزومة، منهزمة
منذ نكبة فلسطين، يصفه الشاعر في "مرثية للفارس المستقل" واصفاً
مجده الماضي.

كنت تغلي تطلعاً وطموحاً وجنوناً، فكيف تبدو صحيحاً
من شقار السيوف أينعت حتفاً من قلاع الجنون أقبلت ريحا
وحملناك في القلوب نشيدا عربيا، عذب المعاني فصيحاً
ونسجنا في مقلبتك القوافي فاستحال الرثاء منها مديحاً
فارسا ملهماً، يذود المنايا قللاً، مسرج الفؤاد جموحاً
نصف قرن وأنت لحن جميل ما طوي في السياق لفظاً قبيحاً
نصف قرن ويحي نبي قلاعاً من تصابيك، أو نقيم الصروحا
ما استرحنا لأن عينيك تأبي يا سفر الخطوب أن نستريحاً
ما استرحنا والكدح يبدو جميلاً حين يأبي الغرام ألا يريحاً^(٣)

ثم يسرد تاريخ الحاضر، ويصفه، وهو حاضر دام يشمل الأمة
والفارس معا، .. وقد عرضنا له عند اسعراض دلالات الرماد في طرح
الشاعر.

إن بوتقة الرماد تضم الفارس والأمة وخائني الأمة معا، الجميع في
احتراق واحد، لكن الشاعر المنشد، المرثل لحلمه وحده يبقي، ويظل جمرة
كامنة في الرماد.

من أقوى أسباب قوة الفارس في رؤية د. صالح الزهراني انضواؤه
علي نور العقيدة، واهتداؤه بهديها، ... هنا قوته، وفتوته في هذا الطرح،
يقول الشاعر:

وقلوب فرسان الضياء نقية تطوى علي هدى الكتاب وتتش

تتكب العقبات، وهي مخيفة عند المبادئ، كل هول يصغر^(٤)

والشاعرية من أبرز ملامح الفارس في رؤية د. صالح الشعرية، لذا
يصوره لنا في "البحث عن مضارب الوطن" وهو يسوق جواده وقافيته،
يقول:

أغد أجرد طواحا، وقافية كأنني في الهوى "سيف بن ذي يزن"^(١٨)

وفي "قصيدة لم تكتب" تلتحم مشاعر الفارس والشاعر والسندباد
الجواب معا، إذ يصور الشاعر ذاته سندباداً باحثاً عن القصيدة الرائية،
ويقص عليه الحبيبة عند عودته حكاياته وعناء الفارس العربي في سبيل
عثوره علي ما تريد من كنوز.

ويتماهي الشاعر والفارس في هذه التجربة الشعرية الفريدة، فيعاني
الناقد والمتلقي امتزاجاً بين سياقات الكيانين، فحروف الشاعر جواد
الفارس، وخيول الفارس حروف الشاعر، والشاعر يمتطي جواد الفارس

غير مقتنع بقصيدته، وغير مكثف بها في توجيهه لتغيير المجتمع، كما أن الفارس يتوسل بنشوة حروف الشعر، وقوة تأثيره لتغيير الواقع، وهكذا يتداخل الكيانات ويتماهيان، يقول الشاعر في قصيدة "أحزان شعب الله المختار" بعد أن يسرد أجزاء من تاريخ الأمم فلسطين:

"فخذني قنديلا، منديلا، أمسح بعض العبق الطاهر
علي استنشيق من خيل الله الكبر، واغتسل عند عيني

كثبان غبار

سيروا بي في هذا الملكوت

قصيدة شعر لا تؤمن بالوزن

ولا تُعجن بالجبن

ولا تعرف معني الأسوار"^(٦)

وفي قصيدة "السفينة" يقدم الشاعر هذا التماهي بين كيانه وكيان الفارس قربانا" للجموع، فيطرح حروفه فوق خيول الموج مرتحلاً نحو غد يرجوه لمجتمعه، يقول في "السفينة":

"صنعت من دمي

ومن أحرفي

من حرقة الموال في فمي

سفينة"

جعلت اضلاعي لها دعامة

وقامتي سارية

وخافقي بوصلة تقودها فوق خيول الموج في سكينه^(٧)

وفي قصيدة "رسالة" من ديوانه "ورقة من سفر الرؤيا"، يعرض هذا
التماهي، قائلا:

فسافرت في شراييني خيول هوى أزدية القبح ما كنت من السبق

تتاجز الريح، موال سناكبها مقطورة مثل هذا الوجه من قلق^(٨)

والتماهي بين الشاعر والفارس ليس في الملامح، والرؤى، وتبادل
القوى فقط، بل في مكابدة منغصات المجتمع المعطل لرسالة كل منهما،
لذلك يشكو الشاعر تجاهل حروفه، ويشكو الفارس تعطيل خيوله.

يعرض الشاعر هذا المذاق من التماهي في قصيدة "نهاية رجل
مجنون"، فيعرض السيرة الدامية المؤلمة للشاعر، ويصف بطولته ونداءه
الماضين كذكريات تنميه حين يري الحاضر، الأسي، يتذكر كيف كانت
الأرض خاضعة لسناكب خيله، وكانت القوافي متدفقة، حتى امتلكه
الإحساس بالزهو والنصر وامتلاك الوجود، يقول في تصوير شجي يهيمن
عليه مناخ الرثاء- رثاء الذات.

كان للندی من بخور الوجد في جسدي وكان من نفسي عطر البساتين

وكان فيض القوثي من جموح فمي والخيل في رقعة الغر الميامين

وكانت الأرض أعراسا ودممة وطفلة من شد فل ونسرین

فأوقد الكبر في عيني جذوته وأشعلت قبس النكلي شراييني

ورحت في فلك النجوى يسابقتي خطوى، ووسوسة الأمجاد تغريني

وينتشي في فؤادي ألف موبقة يسن حكمتها فقه الملايين

يضيع في موجهها فرعون، يذخل عن صغار مستثمريها مال قارون^(٩)

يتماهي الشاعر والفارس في مصير واحد، وهو مأساوي، إذ يبدو كل كيان منهما محاطاً. بحتمية الألم والضعف في هذه التجربة الشعرية، وعندما نتاح لأحدهما اختيارات فيما يخص مصيره، تبدو كل الاختيارات انشطارات وتمزقاً، ولذلك يكون الارتحال والتغرب ضرورة، وقراراً اضطرارياً، ومنطقياً مدفوعاً بهذا التواجد المأساوي.

ويبدو سفر الفارس، والشاعر بحثاً عن الحلم، وأبعاداً وإزاحة من الواقع، كما يبدو في بعض سياقات التجربة الشعرية للدكتور صالح هرباً من سلبية المجتمع وجموده.

لذلك يمنح الشاعر د. صالح "المكان" صفة البطولة في قصائده في أي هيئة كان هذا المكان: أقطاراً عربية، مدن المملكة، مواضع الأسفار الأسطورية الغامضة المستقاة من الخرافة أو الأسطورة، مواضع الحلم...، وذلك لأن الارتحال أصبح غاية الشخصية الأساسي في شعره، وهو شخصية الفارس في بحثه عن الانتماء، التحقق، الوطن، الخير، الجمال، الوجود النبيل.

والفارس يسافر بهويته في هذا الطرح، يسافر شاعراً وفارساً، وهو يسافر في - الغالب - علي غير هدى، دون خريطة، كما في قصيدة "مسافر بلا بوصلة" التي يشير عنوانها إلي هذه الدلالة، والتي يقول فيها الشاعر مؤكداً غموض السفر، وغموض مصير الفارس:

مسافر فوق جمر الحرف يحترق مسافر زاده الألعان والحرق^(١٠)

لم يكتب الشاعر د. صالح بطرح الارتحال حلماً لا يتحقق إلا في
هيئة معنوية- سفر في الحروف والمعاني والزمان- بل صور هذا الحلم
ذاته محالاً لأنه جعله دائماً محفوظاً بالمخاطر والمناخات التراجيدية.

في أحد مواضعه الشعرية المتميزة في عرض هذه الدلالة، ونعني
قصيدة "البكاء دماً" يصف الشاعر سفره محدواً بتجاهل الجموع والأحبة،
منكراً من الزمان والأنسان، يقول:

مسافر فوق موج الحرف في ورق أودعته فيض أحزاني وعطر نومي

مسافر لا زمني مدرك سفري ولا رفيقة دربي هزها نغمي^(١١)

ثم يتوحد مع ذاته في مونولوج (كشفي) يعلن من خلاله عقم مبدأ
السفر، ومأساويته، يقول:

يا من رحلت: إلي أين الرحيل ضحي خيول شعرك أنمي صدرها للسبق^(١٢)

لأي دار تزود الناجيات، ومن سيقصد الركب والأمواج تصطفق

هون عليك، فإن الدرب مهلكة والليل خلفك وللتناص منطلق

ومن همست له بالسر باح به وباع عينيك، من تهواه مرترق

مكابدات الفارس هي ذاتها مكابدات الشاعر في هذه الأبيات، وهي:
مجهولية جهة الرحيل، إيماء الخيول (وهي هنا خيول شعر) اصطفاق
الأمواج، الدرب للمهلكة، انعدام النصير، وخيانة المؤتمن، هيمنة الليل،
تربص القناص،...

هذه الأخطار أو "المسدرات" هي ذاتها الضلال الذي يشكو الشاعر منه في مسيرته، هي البوصلة المفقودة، والمصير التراجيدي للفارس. والشاعر معاً.

السفر والارتحال اختيار واضطرار في هذه التجربة الشعرية، وهو- في كل حال- ملمح هام من ملامح المصير التراجيدي للفارس والشاعر، أو الفارس الشاعر، ولذلك يتصدر الارتحال كثيراً من قصائد د. صالح الزهراني.

الارتحال قدر الشخصيات الرمزية المستقاة من التاريخ العربي والإسلامي، أو الأنبي في قصائد د. صالح، من هذه الشخصيات "السندباد" الذي نراه في كثير من مواضع هذا الشعر ونذكر الآن من تفهم مدى أهمية مبدأ الشعر في رؤية د. صالح سبب هذه الوضعية الهامة للسندباد في شعره.

يفرد الشاعر لهذه الشخصية قصيدة هامة هي "السندباد في رحلته التاسعة، وسوف نعرض لها عند تحليل مواضع التناص في هذا الشعر- وهي ذات قيمة دلالية في تعيين مواضع الارتحال التي يتخيرها الشاعر، وبكسبها دلالات رمزية هامة.

ينماهي الشاعر بشخصية "السندباد" في هذه القصيدة، ويرتحل من خلاله إلي مواضع مجهولة غير مأهولة من الكون، يستمد من غموضها وسحرها وأسطوريته قوته، لاجئاً إليها بعد فراغ يده من الواقع والحقيقة.. يرتحل الشاعر السندباد- في هذه القصيدة- إلي السحر، والموج وزورق العين، وإلي الواقعية علي شاطئ الحسن، وهو بتسميته لرحلة السندباد بـ "الرحلة التاسعة" يتناص تناصاً معارضا مع التراث الشعبي الذي عين للسندباد سبع رحلات، كما يلوح بهذه التسمية بإتمامه- دلالية-

لبناية الفكر الحدائثي، حيث كتب أحد الشعراء الحدائين المعاصرين، وهو "خليل حاوي" قصيدته "السندباد في رحلة النائمة"، كما سنتبين فيما يلي.

الفروسية والبطولة حلم، وقضية مصير تهيمن علي التجربة الشعرية للدكتور صالح، وتشغله حتى في سياق موضوعاته الإنسانية.

مفردات الفروسية تفرض ذاتها علي خطابه للحبيبة كما في قصيدة "هزائم جميلة" حيث يستفز الشاعر حبيبته للمناورة، والحرب والقتال، مؤكداً لها أنه يحب الحب المقاتل، يقول:

أحببت فيك جنون عاصفة الهوى فترصدي للراسيات وهاجمي

أحلي الهوى عندي، هوى يجتثني حب يقاتلني بقلب مقام^(١٣)

كذلك نلاحظ هيمنة مفردات الفروسية والحرب علي سياق وصفه للطفولة، يقول في قصيدة لابنته "أروى":

أري في رؤي الأطفل جيشاً من الهوى ومثلي علي جيش الصباية لا يتوي^(١٤)

يصور الشاعر انشغاله بموضوع الفروسية، وقضية الفارس البطل في قصيدته "الأعمى وخيوط البارود" يقول:

في رحاب الزهو ضاعت قدمي وانحني خطوى وتاهت سبلي

باحثاً عن فلق محلوك عن زمان واقف عن بطل^(١٥)

في كثير من مواضع شعره، يلج د. صالح في تصوير مدى توقه إلي بطولة مدوية تعيد الكيان العربي والإسلامي إلي وضعيته المجيدة، توقه إلي ملحمة لائقة بتاريخنا، يقول مصوراً هذا الـ (توقه) في "البحث عن مضارب الوطن":

وشادني في الفرا مشروع ملحمة وعن سنابله الخضراء حدثني^(١٦)

هذا التوق يقف وراء التقاف كثير من قصائد د. صالح حول قضية
"تغيب الفارس" وإزاحته من مفردات الحياة العربية الراهنة.

نطالع هذه القضية في قصيدة "فارس الضحى" التي تبدأ بـ اعتراضات
الفارس بوقائع إزاحته، وبوجه بما عطل قوته، يقول الشاعر:

أنا ما عشقت لهم، لهم معجب متى كان طعم الجرح يحلو ويعذب

ويتماد د. صالح أن يترك بعض الكلمات في هذه القصيدة دون ضبط
أواخر كلماتها ليمنحنا سعة في الدلالة، ويمنحنا إحياء بالتماهي بين
الفارس والشاعر، بحيث يبدو السياق الدلالي منطقياً عليهما معاً، منسجماً
مع شخصية كل منهما في ذات الوقت، يقول:

ركبت المنافي، كلها قلب شاعر ثم أحمدي في منافيه يسكب

تغربت عن جرحي، وجرحي قضيتي وهذا ابتدائي والنهايات أغرب

الشاعر في السياق السابق- كيان منفي، مجمد في منافيه، الفارس
كيان "مغرب"، ومن ثم يبدو كلاهما كيانا واحداً يعاني من الإبعاد عن
رسالته السامية.

والشاعر د. صالح يريد تحقيق دلالة هذا التماهي في الأبيات السابقة
لذا يترك الفعل (تغربت) دون ضبط في آخره يحدد هوية التاء (تاء المتكلم
أو تاء المخاطب، ثم يوغل بنا في احتمال التماهي بين الكيانين حين يوجه
للفارس حديثه قائلاً:

تلوم حروفي حين تأتي كئيبة ومن جرحنا يا ميت القلب تشرب

ثم يتوجه إليه بالتحذير، وينبئه من غفوة تهدده بالتردي والهلاك،
يقول:

أفق.. أدلج السمار يا فارس الضحي

تثائبت، والأفاق ناب ومخلب

حروفي التي أنكرتها، نصف حزنها

علي مثل هذا الوجه من أين تطرب

ويصف الشاعر انصهار الكيانين معا في آلام واحد، حين يقول
الشاعر للفارس:

انا متعب.. من أين جاءت متاعبي أنت من فؤاد بين جنبيك يلعب

غضبت لأن الجهل أصبح راية وأهل الردى أقوى بيانا وأصلب

الشاعر يعاتب الفارس لأنه رضح للضغوط، وضع دربه، وغفل عن
أخطار تترصد به، فيقول:

أعاتب وجهها، ضيع الدرب عامداً

ولست علي كل المضيعين أعتب^(١٧)

الوضعية المأساوية للقوة: (تضييب الفارس):

الفارس في التجربة الشعرية للدكتور صالح الزهراني قوة محاصرة
بوضعية مأساوية، إذ تحيط به الاغتيالات، والانهيارات وعوامل
الاستلاب.

تتنوع عوامل الاستلاب إلي تحول قوة الفارس إلي قوة معطلة منممة
غير فاعلة، وتحوله إلي رمز في تاريخنا، رمز ماضوي، ونكري، لا
فاعلية حاضرة متحققة.

من أبرز هذه العوامل ابتلاؤه بالجموع الغافلة اللاهية عن أزمته ومن ثم فهي لاهية عن "ضرورة القوة" وأهمية الفارس في حد ذاته.

هذه الجموع تبدو في الطرح الشعري نائمة، مخدرة، أو لإئمة ساخرة من تآزم الفارس ونبيل أهدافه، ووقار سمته، وشجنه وعواطفه، وتعلقه بأمجاده الماضية..، هي في عمومها جموع تتسم بالغفلة والسطحية في التفكير، وهو جموع متخلية عن فارسها، خائفة بالتخلي والتعطيل.

لذلك نلاحظ علي مدار التجربة الشعرية للدكتور صالح أن الفارس في واقعنا الراهن (قوة غير متحققة)، فهو يبدو في هذه التجربة منهزماً، أو مرتحلاً، أو مائتاً، أو غائباً، أو حلاًماً.

الفارس في هذه الرؤية الشعرية وجود طيفي حلمي فقط.

يصور د. صالح ابتلاء الفارس بالجموع الموهنة لقواه باللوم، وعدم الوعي برسالته. يقول في "عاهة مستديمة":

كلما هزت الحتوف رشيداً نز في ساقه المخبة فرح

كلما شد للقبيلة زنداً أقبلت صوبه القبيلة تلحو^(١٨)

يصور الشاعر في قصيدة "كائن بلا هوية" المفارقة الأساسية التي أحاطت بالفارس، فهو يجمع في تكوينه العزة والكرامة وبيارق أبطال المسلمين، والقوة الكامنة الرابضة التي تنتظر إشارة البدء، لكنه - وفي ذات الوقت - معمم بالذل والوجل والعجز والصمت مما يضاد كيانه السامق، لذلك تأتي ملامح الفارس في هذا الطرح كئيبه دائماً مما أجبر عليه من جهة، ومما فقدته من جهة أخرى. يقول الشاعر:

من أي نهد شربت الصمت والوجلا وأمهاتك صيرن الشجي لملأ

من أين عممت هذا الذل.. ما عرفت أرض الشياهيين لا نسرا ولا حجلا

في مقليتك أرى سعدا يببرقه

وفيلقا لصلاح الدين مبتهلا

أري احتمالات معني كنت أجهله

ولم يكن عند من أعلاك محتملا

وهنا يصور د. صالح- تبادل المواقع بين الشاعر والفارس، أو هكذا يترك لنا الإيحاء بالتداخل بينهما، إذ يلتزم الفارس الصمت عند مجابته بأسئلة الشاعر عن هويته وأسباب تداعيه، ويبدو الشاعر في ذات الوقت مجروحاً مدمي كالفارس من هذه الأسئلة يقول:

من أنت؟ ما قلت شيئاً.. كان يقتلني

بكل حرف بهي كلما سألا

ما قلت شيئاً، نكست الرأس مكتبناً

وكنت أطرق مما قاله خجلاً^(١٩)

وبهذا يوسع الشاعر دلالة عنوان القصيدة "كائن بلا هوية" لتبدو في ظاهرها القريب الفارس المحاط بـ عنته، ولكنها تشتمل معها- مع هذه الدلالة- كل بطولة أشار إليها الشاعر من خلال استدعاء رموز التاريخ، إذ تبدو هذه البطولات في حاضرنا رموزاً مغيبة مجهولة، غير مترجمة أو مقلدة كقدوة ومثال، ومن ثم تبدو البطولة ذاتها كدلالة عامة كائناً بلا هوية.

إن عوامل الاستلاب التي تحيط بالفارس تقال من مفردات فروسيته، لذلك- وكما سنجد في التحليل الفني للصورة الشعرية- يتوحد الفارس وجواده في المصير وفي معاناة قوى الاستلاب، بل يتوحد الفارس وأسلحته أيضاً في هذا المصير.

الفارس والجواد في التجربة الشعرية يتوحدان دائماً في لحظة وجودية واحدة، ومصير تاريخي واحد، إذ يجمع بينهما د. صالح زهراني في

طرحه الشعري، في المعاناة من التعثر والإحباط وفي لحظات الرجاء والحلم، وفي مناخات الغياب والانزواء. يتماهي الكيانان، فحين نصيب الجواد كبوة تكتسي عينا الفارس مثلة، وحين يحاصر الفارس بالاعتراب أو الإزاحة عن دوره، يتحول صوت الجواد من الصهيل إلي الحممة، أو إلي الصمت..! يصور الشاعر هذا التوحد المأساوي في قصيدة "ما تبقي من أحزان الرجال" يقول:

يكبو الجواد، وفي عينيه حممة يعود يبدأ في المأساة مشواراً^(٢٠)
يعود، يعلم أن الدهر ما اتصلت فتوحه، ينجب الإقبال إداراً

تستعير شخصية الشهيرة مصير الفارس، فيعبر الشاعر عن تعثره بمفردة (الكبوة) دالاً علي مدى توطن هم الفروسية في ضمير، وعلي مدى "نشاط" الكبو في تاريخ الفارس الراهن، يقول:

أجل. كبوت، وهذا فجر قافلتني طمي ليغسل عن الحزن والعار^(٢١)
نسيت يوماً متاريسي وخارطتي لكنني ما نسيت الجرح والثارا

الفارس قوة غير محققة في واقعنا الراهن، لذلك يصورها الشاعر حلماً مرتجياً، حلماً كان يرتجى لكنه يواجه دائماً بالتثبيط، والاعتقال. يصور الاعتقال الذي يشمل الشاعر والفارس، الحروف والخيول في قصيدة "البحث عن مضارب الوطن" يقول د. صالح:

اتعبت هذي الحروف البيض أسرجها
خيلاً، فهل يا مدار الرعب تفهمني
كم كنت أمل أن أتيك معتجراً
حرفي، يسء قون قبلي ألف مرتهن

أغذ أجرد طواحا، وقافية

كأنني في الهوى "سيف بن ذي يزن"

لكنني جئت مقتولا، وقافيتي

مذعورة، جئت أبكي منك يا وطني

ما جئت أبحث بعد الموت عن علم

تجللون به

يوم الردي

كفي^(٢٢)

يصف الفارس تاريخه كله بأنه تاريخ محزون، مذاقه صديد، ورمل
معجون بالمأساة، وبذلك يفتح أفق دلالة المجنون في قصيدة "نهاية رجل
مجنون" لتشمل الفارس والشاعر، يقول:

حسنت تاريخي المحزون أرغفة رملية، فكلوا من رمل محزون^(٢٣)

طلائمي عيابرات الكون طلعتها وطلعتها مثل هامات الشياطين

ومن صديد دمي حمض وقائفه نرية في حشاها ألف تتين

رثائيات الفارس المتغيب:

لون جديد من الرثاء في شعرنا العربي ينفرد د. صالح الزهراني
بنحته في تجربته الشعرية هو "رثاء الفارس المتغيب"، وهو رثاء لمعاني
البطولة والقروسية والقوة والمجد، رثاء للتاريخ الشامخ الذي استعصي
علي التكرار والمثول في واقعا رثاء للقوة المغيبة الرابضة فينا والتي
عجزت عن النهوض وعجزت عن انهاضنا، رثاء للفارس المفقود
المرتجي، المبعد، والكامن، في جوانحنا في ذات الوقت.

هذه الرثائيات نصفها بأنها نحت مميز للون جديد من الرثاء في الشعر العربي لأنها لا تتضمن دلالات الموت التقليدية ولا المشاعر المنبثقة من إشكالية الموت عادة، بل الغضب والثورة، والحسرة من فجعية الأمة، والخوف من المجهول المحيط بها، الخوف والحنق علي هذه الأمة معاً..، وفي ذات الوقت تتضمن هذه الرثائيات رؤي للخلاص، وإنهاضاً لقوى المجتمع.

الفارس في هذه الرثائيات يصور مؤدوداً مغيباً، مبعداً مغتال القوة واللهجة، كما أشرنا في الصفحات السابقة- فهو مرثى باعتباره قوة مغيبة لا باعتباره مائتاً كما في الطرح التقليدي للرثاء.

يبث الشاعر وداعه للفارس الذي خانته قومه عندما قبلوا السلام مع عدوه، واغتالوا فروسيته التي دربها وغذاها برغبته في الثأر لأمته، اغتال قومه هذه الفروسية بعد أن حالوا بينها وبين الثأر، وقبلوا بالهوان: هوانهم وهوان الفارس، يقول الشاعر في "عاهة مستنمية":

أيها الفارس الجميل وداعاً
فتحنأ رحمة وحب وصفح
أيها الفارس الجميل أجبني
كيف يعلو علي الشوامخ سفح
أنت أكبرتهم، وما اهتز سيف
في يد المدعي، وما اهتز رمح^(٤)

وفي قصيدة "واقعة"، وهي من القصائد المميزة التي تتدرج تحت هذا اللون الجديد من "رثائيات البطل" يبدأ الشاعر بإيقاع جنائزي يمهدنا لتوقع النهاية المأساوية التي تحف الفارس. يبدأ الشاعر القصيدة بوصف رحلة بحثه عن الفارس المغيب المفقود، فيسأل عنه عناصر الوجود الحي، وشواهد الحياة النابضة، المائتة في الثري والنبات، والماء، يدلنا بذلك علي انضواء كيان الفارس علي الحياة، وعلي تغلغله في عناصر الحياة، ومن ثم- يدلنا علي غياب هذه الحياة بغياب الفارس. يقول:

كنت أسأل عنه

الثري، غصون البشام

أفانث عن لغة العشق "لوز الجنوب" الذي مد أعناقَه

فوق صدر الغمام"^(٢٥)

يبصر الشاعر آثار الفارس في كل كيان يدل علي القوة، والنبض،
والشعور، يبصره في مشاعر الحب، وفي عناصر الخصوبة، وإشعاعات
الضياء، يقول:

"كنت أبصره فوق برق الجنابي، عناقيد ضوء إذا ما

استراح المساء وهز الرجال الغرام

كان يأتي إذا ما دجي الليل صباحاً

إذا ما تشققت الأرض غيثاً

إذا ما التقى العاشقون

هلاًلاً

رحيقاً من الشاذلية

زوجي يمام"^(٢٦)

المواضع التي يتجلى فيها كيان الفارس - في هذه الأسطر الشعرية -
هي "البرقي، وعناقيد الضوء، والغيث، والصبح، والهلال، الرحيق زوجي
اليمام"، وبهذا يحمل كيان الفارس دلالات الطهر والسلام والحياة
والخصوبة. ولهذا يصوره للشاعر مبحراً في اصل الوجود بقوله:

"كان يأتي فأسأل عنه دم الكائنات"

يبدو الفارس بهذه الدلالات، وبهذه القوة المؤثرة في الوجود بطلاً غير تقليدي، بل هو أبطال وكيانات في هيئة واحدة يدلنا الشاعر علي تصويره هذا حين يسوق علي لسان الكائنات سؤالاً عنه "بضمير الجمع"، يقول:

"يقولون : من هم"

وحين ينعاه الشاعر ينعاه بصيغة المفرد- ربما استشرافاً مستقبلياً ليبشر بوجود أبعاض الفارس وبقيّة كيانه كامنة فينا. يقول:

"يقولون: مات

أقول لهم: ترهات"

بصور الشاعر موت الفارس موتاً للخصوبة، وعمّاً للحياة، بما ينسجم مع ما سبق من الأسطر الشعرية التي وصف فيها البطل منضوياً علي عناصر الوجود في تكوينه، ولذلك يسوق الشاعر نعيه من خلال تصوير تراجع الحياة في جميع الكائنات، يقول:

"ولما رأيت البنفسج نكس نتيجائه

واللوز أنبل أغصانه

والرتابة لفت عيون الجهات

عندما قلت: مات

فعليه السلام"^(٢٧)

نلاحظ فضلاً عن رثاء الفارس- وهي الدلالة الأساس في هذا الطرح، دلالة مضمرة يشير إليها الشاعر عبر السياق، هي التداخل بين كياني الشاعر والفارس من خلال التشابك الجدلي بين الأفعال المتواليّة، هكذا:

"كنت أسأل، أفتش، كنت أبصره، كان يأتي، كان يأتي"

كذلك يصور الشاعر موضوع اغترابه من خلال جدلية الحوار بينه، وبين الضمير الجمعي، حيث يظهر هذا الحوار انعدام ثقة الشاعر في قدرة الضمير الجمعي علي معرفة مصير الفارس، لذلك فهو يكتبه كما يبدو في:

"يقولون: من هم/ يقولون: مات/ أقول لهم: ترهات"

ولا يسلم الشاعر بموت الفارس إلا حين يبصر موت الكائنات.

ويقدم الشاعر رثاءه للفارس في قصيدة "سؤال" يجعل غيابه وإبعاده من واقعنا سؤالاً من بين الأسئلة التي يسوقها الطفل - الممثل لضمير المستقبل - في هذه القصيدة.

يسأل الطفل في هذه القصيدة عن القوة الغائبة، والقول الصادق، والفارس المغيب، يسأل وهو يدرك أن أسئلته محال. يقول:

يا أبي.. للحرف عندي سؤال مستحيل وكل عنب محال

وتتوالي الأسئلة المحال، يقول:

حدثونا، وأسرفوا في هوانا فلماذا لا تصدق الأقوال

فلماذا لا يتجيب السيف سيقاً ولماذا لا تترأر الأشبال

تشمّل الأسئلة كل تفاصيل أزمة الأمة، وهي تمس أهم إشكالية من إشكاليات وجودنا العربي والإسلامي - أعني: غياب القوة.

القوة الغائبة التي يوالي الشاعر السؤال عنها يجسدها في رموز دالة هي: الصقر الغائب، غصن الآراك والنخيل المائت بما يصب جميعه في هذه القضية يقول:

يا صباح السؤال، سنة ربي
ليس له إلا الجليل والكمال^(٢٨)
حين تهوي سنابل القمح أرضاً
يبتدي مولد، ويدنو زوال

الموت والإبعاد والإهمال مصير الفارس في هذه القصائد وفي غيرها
مما أوردنا، ومما سنورد عند التحليل الفني مثل "مرثية الفارس المستقل،
واعترافات شاهد الموت و "فارس الضحي" "وصية حرام بن ملحان"، و
"تراثيل حراس ابن قتيبة".

يهيمن مناخ الرثاء علي الخطاب الشعري في قصائد د. صالح
الزهراني بما يفسر مواضع النجوى والنداء والحنين لهذا الفارس المغيب
في شعره، كما في قوله في "الأعمى وخطوط البارود:

في رحال الزهو ضاعت قدمي
وانحني خطوى وتاهت سبلي
باحثا عن فلق محلوك
عن زمان واقف عن بطل^(٢٩)

الهوامش والإحالات

- ١- ديوان فصول من سيرة الرماد. ص ٦٧، ٦٨.
- ٢- الديوان السابق. ص ٦.
- ٣- الديوان السابق. ص ٥٣، ٥٤.
- ٤-
- ٥- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا"
- ٦- الديوان السابق.
- ٧- الديوان السابق.
- ٨- الديوان السابق.
- ٩- الديوان السابق.
- ١٠- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ١٧.
- ١١- الديوان السابق ص ٢٩.
- ١٢- الديوان السابق. ص ١٧.
- ١٣- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا"
- ١٤- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ٢٧.
- ١٥- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا"
- ١٦- الديوان السابق.
- ١٧- ديوان فصول من سيرة الرماد. ص ٤٠.
- ١٨- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ١٠٩.

الهوامش والإحالات

- ١٩- ديوان فصول من سيرة الرماد. ص ٢٩ ، ٣٠.
- ٢٠- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ٢٣.
- ٢١- السابق. ص ٢٤.
- ٢٢- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".
- ٢٣- الديوان السابق.
- ٢٤- ديوان "تراثيل حارس الكلا المباح". ص ١٠٩.
- ٢٥- ديوان "ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٣.
- ٢٦- السابق ص ١٣.
- ٢٧- السابق ص ١٤.
- ٢٨- الديوان السابق ص ١٦.
- ٢٩- ديوان "ورقة من سفر الرؤيا".

الفصل الثالث
اغتراب الشاعر، وبدء رسالة الشعر

obeikandi.com

مفهوم الالتزام في الطرح الشعري:

الشعر في المفهوم الذي يطرحه د. صالح الزهراني عبر تجربته الشعرية رسالة وعي، وإنارة، تحريض علي الجمال والخير والمثال، وليس كلمة حروفا للامتاع أو التسلية والطرب. الشعر في مفهومه مكابدة وجهاد وقتال وجدال، بحث وسفر وأسئلة، ووعي حاد، .. الشعر في طرحه سجال "مع الذات مع ضمير الوجود، ومع الأغيار وهو تواق إلي المثال، وجع من المحال.. إصرار علي "اليوتوبيا" هذا الإصرار ممزوج بألم الرؤيا، والخوف من المجهول.

يطرح الشاعر هذا المفهوم، وهذه الدلالات التي يرتضيها للشعر بدء من عتبات نواوينه، كما في الإهداء الذي تصدر ديوانه "فصول من سيرة الرماد" وهو إهداء لزوجته، يقول فيه:

"إلي أم مازن

رفيقة الدرب التي قاسمتني لوعة الشعر

وغبار السفر: وفاء بوفاء

وكما اعتبر للشعر لوعة في هذا الإهداء يعتبره كذلك في الإهداء الذي تصدر ديوان "ستنكرون ما أقول لكم"، كما أنه لوعة في قصيدة "سؤال" من ديوان "ورقة من سفر الرؤيا" حيث يقول:

"فوق جبته بقية من لوعة الكتابة"^(١)

والشعر ناء في مفهومه لأنه مكابدة ومعرفة وبحث عن الغاية، هكذا يصفه في قصيدة "مرثية للقمر المكي" وهو يناجي ذاته، يقول:

وأنت، من أنت؟ شعر واكتويت به

وأشعر الشعر شعر لفظه شرر^(٢)

الشعر كنز ثمين في رؤية الشاعر، لذلك فهو يختص به أحبابه ويهديه إليهم، فيهدي ديوانه "سنذكرون ما أقول لكم"، إلي أبنائه الذين يصفهم بـ "أغاني العش الخمس"، يهدي إليهم "هذا الإناء الأبيض الذي ملأته بعناقيد الشعر".

يهدي الشعر إلي حبيبته في قصيدة "تصف بيت"، ويتقاسم معها بيت الشعر باعتباره حياة يكملانها معاً، فيقول:

خذني حروفي علقي سحرها قرطاً، خذي ما شئت لا تخجلي
ويقول لها:

لن أكمل البيت الذي ضمنا عليك أنت الآن أن تكلمي^(٢)

ومن أقوى الإشارات الدالة علي مدى وعي الشاعر بدور الشعر ورسالته، وأهميته في الوجود والواقع الإنسانيين إسباغه صفة الشاعرية علي كل شخصياته الرمزية، وأقنعتة التاريخية،- كما سبقت الإشارة فيما مضى- مثل السننباد، والقعقاع، وشخصية الفارس، والحارس، بل والشخصيات الرمزية التي ينحتها الشاعر من إبداعه، أو يستقيها من التاريخ مضيها إليها من رؤيته كما في قصيدة "مقاطع من سيرة أبناء يعقوب"، حيث يبدو الأب شاعراً في هذا الطرح.

يقول الشاعر:

"كان أبي مجرباً

تعلم الأفكار، والأشعار من مواسم الرمان والحبوب

في قرية ناعسة الأهداب في الجنوب"^(٣)

الوطن ذاته قصيدة في عين الشاعر وإحساسه، وبهذا يغدو الوطن
جمالاً مكتملاً ومثالاً، وتغدو القصيدة كنزاً نفيساً، إذ يضفي كل منهما علي
الأخر ضياءه، يقول الشاعر في "في حضرة الملكة" يخاطب الوطن:

أنا أبوح وأت أحرفي ودمي وأنت كل الذي يأتي به زمني^(٥)
صفة الشعر وملاحه:

ملاح الشعر هي ملاح الشاعر، وهي ملاح الفارس والحارس في
رؤية د. صالح، ومن ثم فهي ملاح عربية.

الشعر في هذه الرؤية عربي الإيقاع، والطرح، واللغة، والهم،
والرؤي.

يعرض الشاعر هذه الملاح المميزة للشعر في كثير من قصائده،
يقول في قصيدة "سؤال":

يورق الشعر في فمي عربياً بين جنبه نبأه وصيال^(٦)
ويقول في القصيدة:

عربية القسمات في زمن غدت فيه القصائد نعل كل هجين^(٧)
ويقول في "إحار بلا قلب":

وحملت قلبي وردة وقصيدة عربية لا تعرف الإغرابا^(٨)

وفي قصيدة "تصنيف" يضع حداً فاصلاً بينه وبين غيره من الشعراء
الذين لا يؤرقهم في الشعر رسالته بقدر ما يؤرقهم مسابرتة لصرعات
الشكل الجديد، والتغريب، كذلك يميز بين شعره وأشعارهم مؤكداً السمة
العربية والهوية الإسلامية لشعره في الهيئة والغايات، يقول:

أما أنا

قصائدي محكمة

يزرع فيها الشعر روحه

يسلك فيها الفن مسلكه

قصائدي لها صفاء ديننا

لها نقاء البدو فوق البيد هذه،

لها شموخ المملكة^(٩)

تستمد القصيدة ملامحها من الوطن، من التاريخ العربي، من الأصالة والعروق العربية، لذلك فهي تأتي حاملة الضياء والخير والمطر، يقول الشاعر في "نبوءة العمائم":

وكيف أخرج من جلدي لأشرح عن قلبي وعن نخلة تختال في كبدي

عن القصيدة لا بيت ولا عمد قصائد الحب لا تبني علي عمد

تأتي غمامة عطر، خفق مرضعة صيغت لها الأحلام في ولد^(١٠)

تأتي كوجهك تهليلاً ومُنذنة مانت وجوه الرواسي وهي لم تمد

الشعر في رؤية د. صالح يحمل سمات القوة والمجد، الشعر فاعلية، لذلك فهو في تحريضه علي القوة، وإيقاظه لعروق الأمة يأتي في هيئة جيوش وقيالق وحرروب. إنه يستعير من هذه السياقات ملامح قوتها في إيقاعه ولغته، ويستعيرها في غاياته وأهدافه، فهو مهموم بذات الهم الذي يؤرق الجيش والأبطال. يقول الشاعر:

منذ عشر، والشجو يغزل شعري فحروفي قوافل ورحال

وزنه فيلق من الجرد يغلي وقوافيه بيرق ونصال^(١١)

ويقول في قصيدة "تكوين" التي جعل فيها الشعر جزءاً من تكوينه،
وتكوين الأمة، ويجعل الفيالق جزءاً من تكوين الشعر، فتبدو كل هذه
الكيانات تكويناً واحداً، يقول للقصيدة:

عشر، وأنت علي الحريق رفيتي وكتيبتني عند الشجي وحصوني^(١٢)

من أبرز ملامح الشعر في هذه الرؤية أنه هداية، ونور، ووعي
وخير، لذلك تأتي مفردة "القصيدة" أو مفردة "الشعر" محاطة بأجواء المطر
والنور والشلال والخصوبة في طرح د. صالح- مما يتعلق بالصورة
الشعرية كما سنبين- الشعر مرتبط بأجواء الحياة، باعث لها. يقول د.
صالح في "المدار":

لعينيك القصائد، فهي منها ولولا السحر ما قدح الزناد

تجئ غمامة، وتهل فجراً علي إيقاعه يجب الفؤاد

من النمط الرفيع محجبات تريد، ومالها معني مراد^(١٣)

صفة الخصوبة التي يلحقها بالشعر، ويجعل الشعر مفجراً لها، هي
ذاتها صفة الفارس والشاعر.

هذه الكيانات منبثقة الحياة، وباعثة الوجود في الرؤية الشعرية،
خاصة حين تتعلق بماضي الأمة، وزمن أمجادها.

هذه الكيانات الثلاث تأتي في سياق وصف ماضي العريق محفوفة
بمفردات الخصوبة، فتمتلي القصيدة بمفردات خاصة، مثل الصباح
والسندي، والمطر، والإيقاع النابض وهي في ذات الوقت مثمرة لهذه
الخصوبة وليست منطلقة منها فقط، فهي تلد الغيث والصبح والغيم
والنبض، ... الخ.

إن الأمة ذاتها في ماضويتها الفاعلة من هذا الكيان الباذخ بالألق
والخصوبة، وهكذا تتماهي الأمة مع شاعرها وفارسها وأشعارها تماهياً
تاماً مما يؤكد للناقد مدى الانسجام الفني بين أجزاء التجربة الشعرية،
وبين تفاصيل رؤية الشاعر.

يقول د. صالح في "قصيدة لم تكتب" واصفاً شعره في زمن فاعليته:

بروقة تنهل في ديمة
ليست إذا لاحت من الخلب
يضئ منها الكون، يهفو الثري
من مشرق غاف إلي مغرب
أعود في كفي أنشودة
ندية كالوابل الصيب
بيضاء مثل الصبح عذرية
مفطورة من خائق ملهب (١٤)

هذه العناصر ذاتها- عناصر الحياة- يصف بها الشاعر كل كيان
مانح، خير، لذلك يصف بها ابن باز- رحمه الله- في قصيدة "رحيل
الأقحوان"، يقول:

أنت شعر، وديمة، وصباح
ذكريات في كل قلب تصان (١٥)

وإن عضوية ما بين كيان الأمة والشاعر والفارس والقصيدة، تؤكد
خطورة موقع الشعر، وخطورة رسالته في هذه التجربة.

من أبرز ملامح الشعر في طرح د. صالح الحزن، فالقصيدة حزينة
لحزن الشاعر وكثرة همومه، وانشغاله بأمته، يقول "في حضرة الملكة":

هات فؤاداً بليداً لا يؤرقه
هم الوري، وخذي شعراً بلا شجن (١٦)

القصيدة أيضاً ذات ملامح رصينة جادة، حروفها غاضبة بغضب
الثورة، والرؤية. يقول في "تقاسيم العشق الجنوبي":

وأغني لمقلبتك القوافي
حالمات تختال دون رنين

جنت ركصا، وجهي قصائد عشق تتلحّر حر، فبد، وهريبي

القصيدة تجمع بين مرارة الرؤية، وفجرية البشارة، وصدق الطرح
وصراحتة، كما يقول الشاعر في "أحزان جديدة":

فم من جراح الناس يغلي ويغرف وللقادم المخبوء يشدو ويعزف
فم "جاء فجرى البدايات، لونه صباح وفي أبعاده الحزن يندف
قلو جاء مرا طعمه لا يرعكم فمن جرحكم يا نخلة الحزن يندف
أتي عاريا، لا يتقن الزيف شعره وأكثر شعر العصر شعر مزيف
حروفي لظي يا سادتي، لا لأنني عنيف، لأن الجرح أقسى وأعنف

والشعر في طرح د. صالح رسالة "أمينة" لا تقبل التزييف أو
التضليل، لذا يقول - متابعا في ذات القصيدة:

أبد صمتي بانتعاشات أحرفي وأزجي قوافي التي لا تزخرف^(١٨)

وحين يقدم تراثه للجماهير في قصيدة "بيان للجماهير المحتشدة"
يصفها بقوة المواجهة للأزمة دون التوسل بأعدار، أو الاختباء خلف
مبررات، يقول:

ولساني يذوب عطرا، وقلبي لجراح للزمان أضحي مطارا
إن يكن بيننا فم "هاشمي جعل الزيف للحروف شعارا
فأنا ما اعتذرت ، أدرك دوري وحروفي لا تتقن الأعدار^(١٩)

القصيدة في موضع آخر بوح "وحزن"، وصفاء رؤية، يقول الشاعر:

يضيق رحب المدى، ينطوي بيدي

في الهم لآحد بين الشام واليمن

عمامة من صفاء البوح أنبسها

غلاله من نفيح الحزن تلبسني^(٢٠)

ملمح بارز للشعر في رؤية د. صالح هو أنه تراتيل حب، وجنون عشق، وحرقة صدق يقدمها للحبيبة الأولى، الماحقة لكل حب آخر، وهي الأمة، والوطن.

يقول في "تفاسيم العشق الجنوبي":

هذه قبلتي، وهذا حنيني	واشتياقي ولوعتي وجنوني
هذه رعشة الهوى في فؤادي	زلزلتني برغم كل سكوني
فاقليني إذا غزلتلك لحنا	معبديا، فأنت كل لحوني
يا مدار النشيد: هاك سهادي	هاك حبي وحرقتي وأيني
هاك شعرا سكبته فيك حراً	لؤلؤي الحروف جم الفنون ^(٢١)

أبعاد رسالة الشعر في مفهوم د. صالح:

إن تضافر الكيانات والماهيات في التجربة الشعرية للدكتور صالح الزهراني يجعل من الصعب الفصل بين محاور موضوعات تجربته بعناوين مستقلة، ويهدد الدراسة النقدية بالتكرار، سواء تكرار الملاحظات النقدية، أو تكرار المواضيع الشعرية الدالة علي هذه الملاحظات.

عائنا هذا التهديد عند محاولة الفصل بين ماهية كل من الفارس والحارس والشاعر، ونعائنه الآن عند تلمس مفهوم الشاعر لرسالة الشعر، إذ نلاحظ ذات التماهي بين هذه الكيانات بعضها وبعض، فضلاً عن التماهي بينها وبين كيان القصيدة ومن ثم دور الشعر ورسالته.

الشعر في رؤية الشاعر أحد أهم حراسها، بل يبدو في كثير من قصائده حارسها الأول. الشعر عين الأمة الرائية، الحارسة الأمانة، وهو رؤية محبة للأمة بما يحمل من فداء ووعي، وصدق، وصفاء استشراف. يقول واصفا هذه المسئولية في "رسالة أميرة الغرابة":

في داخلي ألف سر عن محبتنا في موطن حارساه الحب والرشد^(٢٢)

الشعر هو "خميرة الممكنات" - كما يصفه د. صالح في القصيدة التي عنوت بهذا العنوان-، هو القوة المحرضة وهو استفزاز الحلم، يقول الشاعر واصفاً نبيل رسالته في قصيدة "في مواكب الجلال":

هو الشعر الجميل إذا تهادي تجلي الفجر وانبلج القتام
ولولا الشعر ما خفتت قلوب ولا هز الصناديد الغرام
ولو كتبت حروف المجد كف بقبضتها، ولا خفق الحسام^(٢٣)

الشعر يدافع عن الحياة النقية. هذه هي رسالته في هذا الطرح لذلك يصفه د. صالح بأنه حروف خضراء، وهو في ذات الوقت - جيوش وفيالق كما يجب أن تكون القوة الحامية لهذه الأمة. يقول في "إبحار في قلب":

تأتي الحروف الخضر وجها ناصعاً وتصير في حلك السواد شهاباً^(٢٤)
بين وبين الشعر عهد "دائم"
وأصوغ منه كتائباً ملكية أن أجعل الحرف الطهور شراباً
فلكم جعلت الشعر بيرق طلعة تبني لتاريخ الجمال قباباً
أشرعت للأحباب مملكة الهوى واخترت خيل الفاتحين عراباً
وفتحت أبواب القصيدة كلها وبنيت فوق جبينها محراباً
وهجرت من فتحو لي الأبواب

هذا الوعي برسالة الشعر يدفع الشاعر إلي إدانة جميع استعراء غير
الحاملين لهذه الرسالة، محتفياً بشاعر واحد هو المشغول بهم أمته، يقول:

شاعر يبكي فلا يبكي علي ثوب ولا لفظ، ولكن موت أمة^(٢٥)

ويلزم د. صالح نفسه بهذه الرسالة، لذلك فهو هذا الشاعر الحق
المهموم بأمة علي مدار تجربته الشعرية، والذي اعتبر ذاته حارس الأمة،
وحامل تاريخها، والمنشد لتراتيل هواها في "تراتيل حارس الكلأ المباح"،
هو صاحب رسالة ووعي ممزوج بالحزن وشجن الرؤية للعجز عن القيام
بهذه الرسالة، ومن هنا تأتي تراتيله حزينة في الغالب مصحوبة ببكاء
الشاعر وأنيته، كما يقول في قصيدة "بيان للجماهير المحنثة":

جئت أبكي علي، أبكي عليكم نصف قرن، ونحن نقطر عارا^(٢٦)

يقدم الشاعر هذه التراتيل ليبحث بها شجونه فقط، ولكن لينهض بها
القوة في الإنسان، والمكان. يقول في نبوءة العمائم:

هنا، ومن فيض هذا الرمل أغنيتي أمدها، والهوى ضرب من الممدد^(٢٧)
أمدها جبل لوز من دمي، وفمي يصوغها، يا جبال المنتهي فتدي

وفي قصيدة "قسم" يدور القسم حول رسالة الشعر بأن يكون إضاءة
وحروفا هادية، ويكون بمثابة الروضة الداعية للقيم، وأنشودة لأطفال
المستقبل، نجاة من الهاوية، وكشفا وإدراكا. يقول الشاعر:

أقسمت أن يبقي فمي قافية روضاً يغني الغيمة الآتية
يصوغ للأطفال أنشودة خضراء تستاق الندي زاهية
أقسمت أن تغدو حروفي صوى لأمة تسعى إلي الهاوية
أن يستبين الناس أحزانهم أن يعرفوا أسرارها الخافية

أن يدركوا أن الشراع الذي يرسو سيلقي موجة عاتية

ويقول واصفا ما يرتجيه من الشعر، وما يرضاه له، ومنه:

الشعر عندي رحلة عذبة وقودما كلا، ولا النافية

أشق هذا الكون أبغي وري مبانئاً، أفئدة صافية^(٢٨)

بصر الشاعر علي أداء رسالته هذه رغم كل ما يواجهه من مكابدات فيقول في "مسافر بلا وصلة":

كلا.. سأطعم هذي البيد قافية رزقتها، ولكل الناس ما رزقوا

ما زلت أحرق ألحاني، أعلقها نجما، لمن ضلت به الطرق

ما زلت أحرقها حبا، ولي أمل فيهم، سأحرق حتى ينفد الرمق

كما يصف اضطلاع بهذه الرسالة، وجود قومه به وبها معا، فيقول:

من أين يا أمة أمهرتهالقي سقيتها من شبابي الغض أنهارا^(٣٠)

وهبتها خافقا حرا، وقافية بكرا، وكانت قوافي الشعر أبكارا

كما يقول مؤكدا أن رسالته تابعة من حاجات أمته، وأن حزنها من مخاض أحزانها جروحها، وأنها لسان الواقع، وضمير المجتمع. يقول:

ما كنت أخدعكم بالحب، ما كتمت

قصائدي عن رفاق الدرب أسراراً

كانت علي جركم تهفو مقبلة

وتستقي منه أحلاما وأفكارا^(٣١)

الشاعر في هذه الرؤية هو "الأنا الفاعلة"، المغيرة، المتصدية بالفداء، والثورة، والأمل، والوعي، ومن هنا فإن حضوره ساطع في ملامح كل الشخصيات التي يبعثها د. صالح في قصائده. الشاعر هو الرجل الذي تنتهي به رؤاه إلى الجنون، هو الفارس، وهو الشاهد علي الزمان والمكان، وهو حارس الكنوز.

يصور د. صالح شخصية الشاعر في قصائده باعتبارها نقطة الضوء في انطلاق الأمة إلى خلاصها، وهو مصدر البروق والضيء والفجر، والغيث. يقول في "نهاية رجل مجنون":

من نهر كفي جذب الكون، من ولعي بالنار أورك جمرا قلب نبيرون
تتاسلت لغة النيران من جسدي من قندهار" إلي أكتاف بكين
واليوم يصلي لظاها ألف طاغية ويصطلي حرها الشعب الفلسطيني

تكوين الشاعر من كيان الأمة، فلامحه من ملامح الأرض، وللدم كما يقول الشاعر في "الأعمى وخيوط البارود":

لنا دم من جراح الماء والطين لا صنت وجهي ولا أدركت تكويني^(٣٢)

يحاط الشاعر - وفق هذه الرؤية - بمفردات الفعل والثورة، لذلك تأتي في سياقاته مفردات حادة صاخبة مثل النار، والدم والهدم، ومفردات دالة علي البدء والفجر والبعث، مثل الضوء، والصباح.

ونلاحظ هنا وجه شبه بارز بين ملامح الشاعر التي يطرحها د. صالح الزهراني، وبين ملامح الذات الحداثية التي يطرحها شعراء الحداثة المعاصرون في قصائدهم، وعلي رأسهم "أونيس" نتلمس وجه للشبه هذا في سياق وصف الحداثيين لكيفية الخلاص من الوهدة الحضارية، والانتقال من الثابت إلي "المتحول". يقول أونيس - في موضع نظنه دالا علي هذا التشابه:

"أنا الدم النافر من حضارة نبيحة

يشعل نار الموت

يطفىء نار الموت"^(٣٣)

كما يقول، وقد ارتكز علي مفردة "الدم" في الرؤية، والتغيير:

"حقاً أنا الطاغية وأعلن جمهورية الدم

ألا فليكن شغلك الرئيسي أيها الانشقاق وليهتز

تحت حواسنا عرش الأشياء ولتزلزل دولة الموازين"^(٣٤)

وكذلك يعلن أدونيس ارتكازه في رحلة التغيير الحضاري علي الحلم والوجد مثلما يركز الشاعر في طرح د. صالح الزهراني، - مع انتباهنا إلي تلبس هذه المفردات عند أدونيس بدلالات حدائثة تختلف عن دلالتها اللغوية المعتادة، وتختلف أيضاً عما أدرناه من دلالات في طرح د. صالح، يقول أدونيس:

"أعلن شرع اللعب، الوله، الحلم، الأشياء"^(٣٥)

تتشابه ملامح الذات الشاعرة في قصائد د. صالح مع الذات الحدائثة في نقطة التقاء هامة بارزة، هي بروز كل منهما في سياقها باعتبارها مركز التغيير: تغيير الواقع، والمصير الحضاري، مركز سطوع النور والفعل. تبدو كل منها ثورة علي سائد - مع اختلاف نوع السائد في كل سياق - وداعية إلي متحول "مبركن"، ويبدو التشابه حتى في مفردات القاموس الداخلي لهذه القضية.

تتشابه ذات الشاعر في طرح د. صالح الزهراني، والذات الحدائثة - في الطرح الحدائثي - في الوضعية الأسطورية لكل منهما في سياقها، فهذه الذات تبدو في هيئة ميثولوجية، وكأنها من قوى الكون الغامضة، تبدو

مخلوقة من كافة عناصر الكون، قادرة علي التأثير في كل هذه العناصر، وقادرة أيضا علي فهم الأشياء الجامدة، والكائنات، وهي تتفعل بكل هذا، وتستوعبه، وتتماهي معه، وتترجم عنه في القصيدة.. بل إن عناصر الكون تتداني لها، وتتفجر حياة بقدمها أو بمجرد ظهورها وإشارتها، وكأنها فعل "خارق خاص".

الذات في الطرحين الشعريين دم ونار وجنون وبروق وعاصفة واجتياح، وطوفان، وفضاء، .. هي حرية وقوة وضوء وتغيير.

ترتكز هذه الذات- أيضاً في السياقين- علي الجنون والاحتراق وحدة الخطاب في رؤياها للخلاص، كما تركز علي السفر والترحال، وجرأة التصدي للأغيار، وترتكز علي كل معاني الاستشهاد، والالتحام بكيان التاريخ.

نعين هذه الخصوصية في ذات الشاعر في طرح د. صالح في قصيدة "وصية حرام بن ملحام"، حيث يقول:

من جبيني تضئ هذي البروق	وفؤادي زوابع وحريق
لا شكوت الهوى، ولا تلت قلبي	إن هذا بحبنا لا يليق
كل شبر في مقلبته نشيد	من غرامي، ونضرة وحريق
لم تضق بي عينك، كانت مدارا	شاعريا، وعالم الناس ضيق
ورحلنا في جرحنا، ما افترقنا	والمنايا من كل فج تتوق

الشاعر في هذا الطرح محاط، بالخطر، بل واقف في قلب الخطر، ومع هذا فهو مخاض النور والحياة، تنبعث الحياة من استشهاده وقرابينه لأمنه. يقول د. صالح متابعا:

كم سقيت الثري، نمائي ومعني واجبات عندي لها وحقوق

فأنا في النوي، وفي كل ساق حفظته للنائبات العروق
وأنا فوقها هلال وشمس وغروب عن وجهها وشروق
وأنا روحها، زفير أساما كلما ضاق صدرها والشهيق
وأنا خيلها إذا هل خطب وقليل في النائبات السبوق^(٣٦)

مفردات رسالة الشاعر وتفاصيلها في هذا الطرح المميز تشير إشارة واضحة إلي أنه الجمرة الكامنة في الرماد: رماد الأمة أو - علي الأكل - هو أحد ملامح تكوين هذه الجمرة. هو الجمرة التي تنبج وتعاني، وتسطر، ومن انشطارها تتولد نار جديدة يكون منها البعث الأسطوري للأمة.

الشاعر إذن يقدم قرابينه متعددة لثناء الأمة، قرابينه هي: ترمده، وانشطاره، وآلام ابتعائه لبعثها...، هكذا يجب أن يكون الشاعر، وهكذا يصوره لنا د. صالح في وعيه برسالة الشعر.

لذلك يجعل د. صالح ملامح تكوين الشاعر هي ملامح تكوين الأمة ومصيره مصيرها، فهو مزاج من الصحراء والشعر والفجر خليط من ملامح الأجداد، وإيقاع القوافي، يقول في قصيدة (تكوين):

عنف الصحاري الظامئات مواجعي

وعتاب عصف السافيات أنيني

أنا يا قوافي الشعر فجر صبايه

ومدارا أغنية، ونهر فنون

أتعبت رجلي في الدروب مسافرا

زادي علي جمر للطريق لحوني

فوق السراة ررعت ورد ر عانني

فتمأيلت فوق السحاب غصوني

ونسجت من لوز الجنوب دفاتري

وكئبت بين غدائر الزيتون

عرشي علي ظهر الرياح، ودانني

شبابه تطوي حصاد قروني

هذا المفهوم الخاص برسالة الشعر وصفته وموقعه في الواقع والوجود الإنسانيين دفع الشاعر إلي إدانة كل شعر شد عن هذا السبيل، وكل شاعر غافل عن هذه القضية وهذا الالتزام.. الالتزام بالوعي والإنارة، وليس الالتزام بالسرد الحرفي للأحداث والوقائع. يقول في قصيدة "الشعر":

"الشعر في هذا الرمان جله

مسارح وصعلكة

قصائد مجمركة

أهدابها شرقية

ألبابها غربية

أفكارها صوفية مؤمركة^(٣٨)

وفي قصيدة "لوغاريتمات عربية" يصف د. صالح السائد من الشعر باعتباره جزء من هذه اللوغاريتمات، إذ يبدو هذا الشعر غامض الهوية، ملفقا متغزيا، لا يصف واقعنا أو همومنا بقول:

والشعر يا ملهمي في عصرنا لغة خبثي الحروف فلا أصل ولا حسد

تأتي القصائد امشاجا ملفقة
غريبة القد لا رأس ولا ذنب
علي (دخان المقامي) شب مطلعها
فوجهها كرماد المل مكتتب
شللها كنسئ النبع، ليس له
لظامئ في مفازلت الردي ارب
وبيتها عنكبوتي إذا عصفت
هوجاء طارت به الأوتاد والطنب

كذلك يصف القصيدة المعاصرة الغالبة علي أسماعنا بأنها كالنفاقة
الضعيفة بعد قوة، وكالمرأة الغربية (المتحلية بصليبيها)، فيقول:

دعيها، ليس فيها من مشاعرنا
رضا إذا حادت الأفراح أو غضب
تجر رجلين من خوف ومن خور
وكان من طبعها الإرقال والخيب
نحب من طائر الفينيق خفته
بكر الجناحين لما يسكن اللهب
شقاء، عارية النهدين، كاسية
وصدرها علقت في صدره الصلب^(٢٨)

يدين الشاعر كل القصائد الغافلة، ويتهمها بالخيانة، كما يدين القصائد
الكاذبة المضللة التي تغيب الوعي، كما في قصيدة "الكون الفسيح" التي
أشرنا إلي دلالتها هذه في موضع سابق.

طبيعة الصراع مع المجتمع:

الصراع والمكابدة والاغتراب قدر الرائيين والتميزين وأصحاب
الرسالات والرؤي، وقدر الصادقين المهمومين بمصير أمتهم ومستقبل
مجتمعاتهم.

هذه الفئة هم أصحاب المسؤولية حقا، هم المسئولون، ويجب أن تطلق
عليهم هم هذه التسمية، فهم يكابدون من ألوان الإزاحة والإبعاد والإقصاء،
ما يصل بهم إلي حد الاغتراب ويجعلهم في حكم "اللامنتمى" فيحاصرون
بين مذاقين متضادين شديدي المرارة: انتماء الرسالة والمسؤولية،

والالتزام، والاعتراب كعقوبة أو جزاء ومصير دفعه إليه المجتمع الراض لرسالته، أو غير الواعي بها...، ومن ثم يصبح الاغراب ذا مذاقات فريدة معقدة هي: اغتراب الرؤي، اغتراب الفكر، اغتراب الروح والشعور.

يدور الصراع في شعر د. صالح بين كتلتين هما: الفارس والشاعر والحارس والشاهد والبطل المقصي من جهة وبين كتلة إفناء القوة التي يسميها الشاعر بتسميات مختلفة في قصائده، فهم: المظلومون، والمجنون، والأعداء، وأصحاب الحروب الفندقية.

هذه الكتلة المعادية تنظر إلي الشاعر باعتباره خارجا عن السائد، شادا غير مألوف، بينما هو تائر علي الوضعية الخاطئة التي غيرت حال الأمة، وانتقلت بها من الزهو إلي الانهزامية.

وتشير كثير من عناوين قصائد الشاعر إلي هذا الثورة وهذا الخروج، وهذا الصراع مع المظلومين. من أبرز الأمثلة الدالة قصائده: "لغة خارج الأجدية"، "الغناء خارج السرب". وملاحم الشاعر في هذه القصائد- وفي غيرها- هي ملاحم المغترب المبعد، الطريد، الجريح، الطريح فوق مأسية.

يصطدم الشاعر بالمجتمع، أو بقوى الظلام فيه، لأنه أراد لهذا المجتمع للخروج من ركاب الجاهلية إلي بزوغ جديد وحياء، فكان أن اتهم للشاعر الرائي، كما يتهم كل صاحب التزام يقول الشاعر في "أحزان جديدة":

لأنني صريح في فمي ألف لوعة ولي من ركاب الجاهلين موقف
يصيحون في وجهي، بلا أي حرمة هوانا حضاري وهذا تخلف
فألثم جرحي، أنكفي في قصائدي

وأمضي إلي قصدي، وفي القلب مصحف^(٤٠)

الشاعر لا يطلق علي معادي رؤاه لقب المظلّمين دون تعمد، بل يسميهم بهذه التسمية، لأنهم يعادون النهار المتجلي في رؤاه الصريحة، وتحريضه علي الحياة النقية الطاهرة. يقول في "بيان للجماهير المحتشدة":

كلما لاح لي الصباح نشيدا أسدل المظلون دوني الستار^(٤١)
وأنا فوقهم ألوب بجرحي من يجاري بما يدور المدار
أنا يا سادتي حملت هواكم في وريدي، فجاء حبي شرارا

وفي قصيدة "تصنيف" يصف الصراع بينه وبين هذه الفئة المظلمة التي تصفه بـ "الغرابية" إعاقته له عن رسالته، وإدانته، وتخويفاً له من خلال التلويح بخروجه عن السرب، يقولون له:

أنتَ ضد التيار، فجرُّ غريب وأنا مولع بحرب التيار

ويصر الشاعر على الصمود في هذا الصراع، مؤكداً أن "تصنيفه" لا يشغله، فرسالته أعظم من التصنيف، ومن الصراع، ومن الإعاقته، يقول:

صنفوني... قولوا مساء نهاري غامض، ناصعُ الرؤى كالصحارى
صنفوني كما تشاعون، قولوا أيُّ شئٍ... إني اتخذت قرارى
هاشمي، عيناه تمحُّ وماء بدوىٌ يدور ضدَّ المدار^(٤٢)

الشاعر يقابل تصنيفهم له بتصنيف آخر لذاته وهويته، وهواه وطموحه، فهو هاشمي الهوى والهوية، يدور ضد المدار، ضد السائد، لا لمجرد المخالفة أو البروز، أو المكابرة، بل لإبراز الحق ومواجهة الباطل. وكما صنف الشاعر ذاته، يصف شعره بأنه واقعي، دفعه إلى هذه الواقعية همومه وحال أمته، يقول في "بيان للجماهير المحتشدة":

مار كبتُ الخيال أطلبُ معني والمعاني في ظلكم تتبارى

واقعي، وهل يطير جريح
واقعي تندس فيه الغيافي
أنا منكم لن أستعير لباساً
إن يكن بينا فم هاشمي
دمه تستحم فيه الصحارى
فاقرأوا سحنتي شجي وغبارا
غير جلدي، والحر لن يستعارا
جعل الزيف للحروف شعارا
فأنا ما اعتذرت، أترك دورى
وحروفي لا تتقن الأعدارا
أما منكم جرحان في صدر حر
فافهموني إن كنتم أحرارا (٤٣)

في قصيدته شديدة التميز طرحاً وصدق عاطفة وهي " لغة خارج
الأبجدية" يصور د. صالح المفارقة بين عالم الشاعر، وعالم الواقع،
يصف الشاعر وهو يعيش منغمسا في رؤاه، في عالم من نور وألق
وصفاء وبراءة، وتلقائية، ومن هنا يبدو عند اصطدمه بعالم الواقع غريباً
مختلفاً، نائثاً. يقول مخاطباً وطنه وأمه:

"كنت يا مغلقة العينين" مفتوحاً على الرؤيا صباحا

خارجاً من وذق أبياتي فما حراً، حماماً مسرجاً

بالنور والنار على شلال " طين"

وعلى " ذات القرون"

وعلى منخل جرحي لوقفوني

قرأوا وجهي وكفي

نبشوا أبيات شعري

كشفوا حتى جفوني

حددوا عمق الزوايا في عيوني

قلبوني"

ويُسجل الشاعر في نهاية هذه القصيدة إدانته لهؤلاء " الأغيار"
المظلّمين الذين لم يفلحوا - رغم دقة هذا الفحص وقسوته- أن يتعرفوا
على هويته، فكانوا مداين بـ" إدانتهم" له وجهلهم به. يقول الشاعر:

" ومع دقة هذا الفحص لمّا يعرفوني

صنفوني

ضمني مجهولي الهويات، وأرباب الجنون

واستوى للذبح على الأعناق فاستخرجهم

فدعوني"

لكي إدانة الفئة المظلّمة ووصفها بالجهل والسّطحية لم تمنع من
انهزامية الرائي، واضطراره إلى الصمت أمام قوى الظلام هذه، وهكذا
تنتهي كثيرٌ من قصائد د. صالح باستضعاف الرائي، وانحصاره عند
التكاثر عليه. يقول:

" قُلْتُ : غيُض الوقتُ

لا تتفعلوا..... هاكم سكوني!!!

منذ فتحت وصوتي شاحبُ

كعصفور سجين

فافهموني

حاولوا لو مرة واحدة

أن تفهموني" (٤٤)

الأزمة بين الشاعر والمجتمع، والصراع بينهما موضوع أساس في
شعر د. صالح الزهراني، يستمر طرحه له حتى ديوانه الأحدث " ورقة

من سفر الرويا". يُصوّر الشاعر هذا الصراع باعتباره قدر الشاعرية
وثنها الباهظ، والضريبة الملازمة لكل موهبة.

يجسد هذا الصراع في قصيدة " السفينة" حيث يصف لنا كيفية صنعه
لسفينة من رواء وإيقاعه وقصيده، نجاه للأمة وإنقاذ لها، فكان أن كوفئ-
كالعادة- بالجود والرفض والضعيفة! يقول:

" وعندما استوت، قلتُ لهم: هيا أركبوا

سبحان مُجربها ومرسلها، وسارت السفينة.

فحرقلوا، واختلقوا، قلتُ لهم: تنكروا

عجوزنا المسكينة

فاحتملوني زبداً، وثارت الضغينة

واقنسموا حلمي الذي نمجته وسافروا"

ويفسر الشاعر- في هذه القصيدة- أسباب معاداة المجتمع للشاعر
الرائي، وتتجسد بعض هذه الأسباب في اختلاف مفهوم الطرفين للشعر:
فالشاعر يعتبر الشعر رؤية وفعلاً وحكمة، وقوة... والمجتمع- أو قواه
المظلمة- تريد الشعر متاعاً رخيصاً ومسرات ساذجة. يقول:

" يريدون مني، من حكمة الشعر ألا تعتبر الحروف جوادا

لأن الحروف النقية لا تشبه البنكنوت

يقولون أن لم تكن فالزم الصمت، كن ملهما اقرأ الممكنات نقرس جبين
الزمان عيون المكان، تعلم متي لا يجوز الكلام متي لا يصح السكوت

يريدون مني.....

يخطون حولي شرك الضغائن، بينون كالعنكبوت"^(٤٥)

ترداد حدة الصراع بين الطرفين حيز يلتزم المجتمع برفضه، وبصرُ
الشاعر على رسالته- بما يُشكل أقوى المواضع الشعرية الدالة على
النزعة الدرامية في شعر د. صالح - ويبدو الإصرار على رسالة الشعر
وعذاب الرسالة دلالة من دلالات حزن الرجال في " ما تبقي من أحزان
الرجال". يقول الشاعر:

يا أمّتي: يزرعُ الباغون في هديي سيفاً، وأزرع فوق السيف ثوارا
ما اشتد إصرارهم إلا ليجعلني أشد من موجة الظلماء إصرارا
كلما اشتد باغ في تسلطه ازددت في أعين الباغين إكباراً^(٤٦)

هذا الصراع مع المجتمع لا ينتهي، ويراه الشاعر صراعاً أبدياً لذلك
يُصوره عبر رموز المستقبل: الأبناء، فيسوق على لسان الطفل دهشة
واستكثاراً من إعياء حروف الشاعر من هذا الصراع، يقول في "
اعترافات شاهد الموت".

فيرى صغيرى أحرفي تعبت فيقول: ما للحرف يا أبتي
فأقول: يا ولدي لهم لغة في العشق.. لا يدرون ما لغتي^(٤٧)

ويبث الشاعر قوى الإصرار في نهاية هذه القصيدة- وفي مواضع
أخرى غيرها - مؤكداً رسالته والتزامه، وأنه الجمره الطالعة من الرماد
صوب جذوة جديدة، يقول:

سينث يا عيني صبح هدى وتلوح من عمق الدجى سمّي
وسينكرون موافقي، ودمي وقصائدي الولهي وقافيتي
ويرى الذين حملتُ جرحهم أن الرياح تهب من جهتي^(٤٨)

جحود المجتمع وتنكره لرسالة الشاعر:

المجتمع يواجه الشاعر بجحود نوره، وإنكار نبله ورسالته، ويصور
الشاعر هذه المذاقات المريرة عَبْرَ جميع مراحل تجربته الشعرية. يقول
من ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح":

أنا يا سادتي حملتُ هواكم في وريدي، فجاء حُبِّي شراراً^(٥٩)

يقول في قصيدة " الكون الفسيح"

ضقت بالحق من فمي يا صديقي ولقد ينكر الفصيح فصيحاً^(٥٠)

ويقول ساخراً في قصيدة " تعليق على ما قاله لقيط بن حارثة" من ديوان
" فصول من سيرة الرماد":

غضبتُم عندما كاتبكم بدمي فلتصفحوا؛ إن خير الناس من صفحا

يُصور الشاعر هذا الجحود والنكران باعتباره عاملاً من عوامل احتراق
الشاعر، وأمانة رسالته، ومن ثم - عامل من عوامل وهي الأمة، يقول:

أوقدتُ من نار قلبي فيهم قبساً وها أنا بدخان القلب أختنقُ

وفي قصيدة دائرة من ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"، يصنع الشاعر من
وفائه وجحود أمته طرفي. دائرة تُحيط به وتحاصره. يقول مخاطباً الأمة.

حملتُك في هواي، وفوق جرحي وكنت مسائي الزاهي وصبّحي

أخيطُ لك النجوم رداء مجد وأبني في خيالي ألف صرح

وأرحلُ في هواك خيال شعر وانتعلُ المدى وأشدُّ نزحي

وأسكب للجلال ندى حروفي واقصر هامتي وأطيلُ مدحي

وأسرج للصباح خيول وجدى فتقطعن مهرتي وتشك رمحي

بحار يبي نما امهد . . عار .
كم جرب حماس سيوف فتح (٥٣)

وفى قصيدته " هرائم جميلة" يواجه الشاعر جحود الأرض كلها
وغضبها بما يُطفئ إقباله على الحياة، وتوقعه الساذج البرئ للاحتفاء به،
ورفعه فوق الرؤوس كما يجدر بكل راعي يقول:

أقبلتُ للديا قصيدة شاعر
وندى قرنفلة وهب نسائم
فاستقبلتني الأرض وجهه عاصب
وجموح عاصفة وقبضة ظالم
وبدأت في درب الحياة مشرداً
ما بين شمس ضحي وليل قاتم
ونثر عطري للثريا والثرى
ورسمت أحلامي بهذا العالم
فتناسل الخسأد من نجوى فمي
وعبير ألفاظي حيوش مظالم
لكنني أبحرتُ لا يطوى يدي
قيد، ولا كسرُ المجادف لائمي (٥٤)

يصور الشاعر هذا الجحود وهذا النكران باعتباره بعض أسراره التي
يكنمها في ضميره، ويلوح بها لرفيقه دربه في قصيدة " رسالة" ويصف
هذا الجحود بأنه النار التي تحرقه وتهدهد بالإفناء، لكنها في ذات الوقت -
بار ملهبة مشعلة لقواه باعثة لغضبه، وثورته، وحزنه. يقول:

بيبي وبينك أشجانُ معتقة
أخفيتُها بين ما أخفيتُ من حرق
كنمتها ودفنت الهم في كبدى
جمرا تسعُرُ من نيرانه حُدقي
فصغت في زمن النكران قافيتي
سحابة فاغرقي في الشعر واعتبتي
هذا التجاهل والإبعاد يصوره الشاعر عاملاً من عوامل ألمه وعوامل "
اغترابه" يقول في " فواصل للصبح الجنوبي":

وتناسي أحبتي لون وجهي صرت في عرفهم سقوط ورجسا
شربوا من نمي، ومصوا رحيقي وأقاموا فوق الفيضة عرسا
وأشرايت أعناقهم لوداعي يرفعون الأكف " روما" و فرسا^(٥٦)

ظاهرة متميزة في شعر د. صالح فيما يخص قضية اغترابه وصراعه
مع المجتمع هي شكواه للوطن من جحود الوطن، شكواه للأمة من جحود
أبنائها.

يقول في " رسالة إلى أميرة الغرابة، شاكياً إلى أبها جرح الجحود
والأمة:

أحببتُ ، والحبُّ في شرع الهوى ترفُ

وعاشق الحرف لا تكنو إليه يد

فجئتُ أطلبُ من كفيك معجزة

فمن صببتُ لهم صافي الهوى جحدوا^(٥٧)

ويقول في مسافر بلا بوصلة وقد تلبس الحالة الاغترابية التي عانتها
زرقاء اليمامة من تكذيب قومها لرواها، وإقصائهم لها، يقول:

ففي حروفي صباح لا نظير له وفي صباح حروفي يغرقُ الفسق

لحقتهم بجروحي ما تركتهم لجرحهم؛ كلنا في الهم ننفقُ

أوقدت من نار قلبي فيهم قبساً وما أنا بدخان الحب أختنق

صدقتهم بمواويلي وكذبني قومي، وأقسمُ أن القوم ما صدقوا

إني وثقت، فكان القتل من تقتي فكان أني بغير الله لا أثنق

ويصوّر د. صالح مذاقاً فريداً من مذاقات انشطار الشاعر - وكل مبدع عامة - هذا المذاق هو للتأرجح وحيرة الانتقال بين تجاهل المجتمع وإقلاله من شأنه من جهة، وبين شعوره بالشخصانية والتميز وبروز "الأنا" بانتسابه إلى الإبداع، واقتداره عليه. يقول في قصيدة "الريحانة":

وتجعلني القصائد حين أشدو أميراً، والمدى عرش مهيب
وتحملني الدروبُ على أكف ومثلي اليوم تتكره الدروب

كذلك يقول فيها مصوراً تجاهل الآخرين وإعراضهم عن كينونته
الشاعرة:

ويصرخُ في الوجود بألف معي

ويمضي السائرون ولا مجيب

ويعلن اغترابه بكل المفردات الدالة عليه، ويشكو إلى أمته، وبلاده هذا
الاغتراب بوصفها أميرة حروفه، وملهمتها، يقول:

أميرة أحرفي تعبتُ حروفي على شطآنها يبس العسيب
فجئت لوجهك الحنطي أشكو لمن عرف النوى يشكو الغريب^(٥٩)

بدد رسالة الشعر:

يُسفرُ الصراع بين الشاعر والمجتمع - غالباً - في الرؤية الشعرية
للشاعر د. صالح الزهراني عن ضياع رسالة الشعر، وبددها، حيث يقاوم
المجتمع هذه الرسالة، ويعيقها، ويبدو بتجاهله لها من أقوى أسباب
تعطيلها.

هذه القضية يُصوّرُها الشاعر في كثير من قصائده، وهي تمتزج بكافة
معاوره الموضوعية. يُعبر الشاعر عن هذه الإشكالية بتصوير شعره

مخفوقاً، غريباً، مُبدداً، لكنه في ذات الوقت إلهام متواصل لا ينقطع فيريخُ
الشاعر من عذابه.

يصورُ الشاعر هذه المفارقة في قصيدة " مرثية للتمر المكي"، فيقول: (٦٠)

أنا هنا في ربا زهران أغنية كئيبة يتحاشي طعمها الوتر
أنا هنا يا رفيق الحرب قافية مخنوقة، مقلة يمتصها المسهر
لا الشعر يورق في كفي فأنثره زهراً، ولا يائس منه فاعتنرُ

ويعصور في " البحث عن مضارب الوطن" حيرته بين العجز عن التوقف
عن الإيداع، وبين مكابدة مرارات الإعاقة والتجاهل، يقول:

" جزائر الحزن" بُحَّ الصوت، أرهقتي شعري، ولا سامع في اليم يسمعني

ويصف توحده مع الشعر في هذا للمصير القاتم، يقول: (٦١)

لكنني جنّت مقتولاً، وقافيتي مذعورة، حنّت أبكي منك يا وطني

يؤكد الشاعر عجزه عن تغيير الواقع، أو توجيه مساره مع ما يكابده من
انعدام الوعي برسالة الشعر، وقيمه، ولنعدام الوعي بأزمة الأمة أيضاً،
يقول في لهجة هي مزيج الأسي والسخرية المريرة، يقول:

صدقوني ما جنّت ألغي قرار أنا لا أستطيع ألغي قرارا
صدقوني ما جنّت أحملُ بشري يرفض البدرُ أن يطل نهارا
صدقوني ما جنّت أنفتُ شعراً في زمان يُصادر الأشعارا
جنّت أبكي على، أبكي عليكم نصف قرن ونحن نقطر عارا
صدقوني: بعضي يحارب بعضي كنتُ غرباً، فصار نصفي تثارا
خطوتي تنهبُ المدي، ويميني فوق رجلى تقيمُ عمداً جدارا (٦٢)

بدد الشعر، وهبائية رسالته إحدى المقولات التي يتضمنها عنوان ديوان "ستذكرون ما أقول لكم" والتي بوجهها الشاعر إلى المجتمع إدانة وتحذيراً. ويصوّر د. صالح الشعر في هذه المرحلة من تجربته محاطاً بالقهر والجمود واستلاب الحرية، وتلاحظ أن طرحه لهذه الإشكالية يزداد حدة لغة وقتامة رؤية مع توالي مراحل التجربة. يقول في قصيدة " طواف":

والشعر مقصوص الجناح مكبل فوق الشفاه الداميات مستمر
من أين يصدر شاعر بقصيدة والرعب يضحك والمدافع تزار
من أين؟ والشعر العظيم مكبل أضلاعه في كل يوم تكسر
في كل بيت قائد وكتيبة وبكل قافية تعلق مخبر^(١٣)

تتعرض إشكالية قهر الشعر وبدد رسالته على مفردات القاموس الداخلي للقصيدة، كما تنعكس على تفاصيل الصورة الشعرية، فيهيمن على العنصرين مفردات الكبل والسجون، والإغلاق، والأبواب الموصدة، والأفواه المكمنة، أو المتجلية للصديد والمرارة، والصمت بما يبدو واضحاً في التحليل الفني.

يُصوّر الشاعر نزوة معاناته من هذه الإشكالية في ديوانه " ورقة من سفر الرؤيا"، وتبدو هذه الإشكالية إحدى ملامح هذه الرؤيا.

يقول الشاعر في قصيدة " سؤال" مصوراً قهر رسالة الشعر:

" كان فمي مكبلاً بصمته

وفوق جبهتي بقية من لوعة الكتابة"^(١٤)

كما يُصوّر الشاعر حدة معاناته من الاغتراب التي تتزامن مع أزمة فاعلية الشعر - أو لا فاعلية للشعر - يقول في البحث عن مضارب الوطن.

ما جف فوق ثراه الحرّ عطرُ أبي فكيفَ هذا الثرى المعشوق ينكرني^(٦٥)

وتتعدّد الإشكالية في طرح الشاعر، حين يصوّر الاغتراب عاملاً من عوامل فشل رسالة الشعر، وفي ذات الوقت يكون هذا الفشل من دواعي الاغتراب، لذلك ينفي الشاعر إمكانية توهج الشعر وتورقه وإيناعه عند افتقاد الإحساس بالانتماء. يقول في " البحث عن مضارب الوطن":

وكيف تورق في الأحناء قافية وكيف يحكم وزناً غير متزن
وكيف أكتب أشواقى وأبعثها وليس في وطنى يا سادتي وطنى
وليس لى في ربّا عينيه متسع طوى شراعي وألقي للردى سفني^(٦٦)

يصف الشاعر هذه المعاناة، وهذه القضية بأنها تاريخية، ويرأها مصيراً حتمياً يشمل كل الرائيين، وكل الصادقين، وهى مصير الشعراء خاصة كما يصوّر ذلك في قصائد مختلفة، مصير الشعراء فى كل أزمنة الأمة، هكذا يطرح الشاعر تصوره فى " مقاطع من سيرة أبناء يعقوب" - وقد عرضنا لها سابقاً- حيث ينتهي الواقع بالأب- الشاعر- إلى الاغتراب فالاختناق فالموت مغترباً مقضى الرؤى والحروف والرسالة.

ينتهي للمصيرُ بالشاعر كما انتهى بالفارس فى الطرح الشعرى للدكتور صالح الزهرنى: أى للموت أو الإبعاد والاغتراب، أو للفشل فى إيصال الرسالة الشعرية. يموت الشاعر غالباً موتاً مادياً أو معنوياً فى هذه الرؤية.

يموت الشاعر فى هذه التجربة موتاً بلا بطولة، موتاً فى نزواء، يشير الشاعر إلى هذا الموت صراحة، ومن خلال الإسقاط على رموز تدل على الحياة والعنفوان، مثل الورد فى القصيدة المسماة بها حيث تنبل الورد خلف أسوارها ثم تموت واصفة- عن طريق الرمز- معاناة الشاعر من القهر واستلاب الحرية، ومن ثم - موته فى حصاره. يقول الشاعر فى للقصيدة:

" لكن كان الشاعر وحده "

بقيت معه الوردة

مدت كفيها من خلف السور وماتت^(٦٧)

إن المصير القاتم والنهاية المفجعة هي قدر الشخصيات في هذه الرؤية الشعرية، هي قدر الشاعر والشاهد والفارس والحارس، فهذه الشخصيات تنتهي إلى الجنون أو الاغتراب أو الموت، أو الانكسار، أو المساعلة، أو الإدانة من قبل المجتمع.

هي في كل حال إذن شخصيات مائنة في انفراد ووحشة ومجهولية، فـ فداء، وبطولة مهملة، وفروسية متجاهلة. ينتهي د. صالح بشخصياته إلى الموت في مناخ تصويري جنائزي، مناخ تراجمي محفوف بالكآبة والغرابة والشجن لعدم تكافؤ القوى، قوى النبل، وقوى الإزاحة.

تموت هذه الشخصيات في التجربة الشعرية- متوحدة مع أحزانها ووجعها، وأسئلتها منعدمة الإجابة، ومراراتها، وفشلها في تغيير الواقع وإيصال الصوت... مجرد الصوت تموت غير محتفي بها، في غير مهابة، أو توقير، أو شعور بالافتقاد، تموت كأنها لم تكن، ولم تقدم حياتها فداء.

هذا المصير الدللي للشخصيات في هذه التجربة الشعرية فصل من (فصول سيرة الرماد) في ديوان الشاعر المعنون بهذا العنوان، حيث تشمل هذه النصوص سيرة الأمة وسيرة الخيول، وسيرة القوة بدلالاتها العامة.

هذه السيرة سيرة الذات الجمعية في احتراقها وغياب تاريخها المجيد، واستحواذ حاضرها القاتم عليها، هي سيرة الخيول الرابضة المحاصرة في سجن ذكريات الصهيل وأزمة وقع الحوافر، تلك الخيول التي رضخت في حاصرنا لأنات الحممة، أو الصمت، واتسقت مع السيف والرمح والنبال في الانتشاح بالصمت والصدأ.

obeikandi.com

الهوامشي والإحالات

- ١- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"
- ٢- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح" . ص ١٠٤
- ٣- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"
- ٤- ديوان " فصول من سيرة الرماد". ص ٧٣
- ٥- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح" . ص ٥٣
- ٦- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٥
- ٧- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"
- ٨- الديوان السابق
- ٩- الديوان السابق
- ١٠- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح" . ص ٩٤
- ١١- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم". ص ١٥
- ١٢- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا"
- ١٣- الديوان السابق
- ١٤- الديوان السابق
- ١٥- الديوان السابق
- ١٦- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح" . ص ٥٤
- ١٧- الديوان السابق. ص ٤٧، ٤٨
- ١٨- الديوان السابق. ص ٧٩

الهوامش والإحالات

- ١٩- الديوان السابق. ص ٥٨ ، ٥٩
- ٢٠- ديوان " تراثيل " ص ٥٣
- ٢١- الديوان السابق. ص ٤٥
- ٢٢- الديوان السابق. ص ٢٤
- ٢٣- ديوان " فصول من سيرة الرماد " . ص ٦٣
- ٢٤- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا " .
- ٢٥- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا "
- ٢٦- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح " . ص ٥٧
- ٢٧- الديوان السابق. ص ٥٣
- ٢٨- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم " . ص ٤٠
- ٢٩- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح " . ص ١٨ .
- ٣٠- ديوان " فصول من سيرة الرماد " . ص ٢١
- ٣١- السابق. ص ٢٢
- ٣٢- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا "
- ٣٣- أدونيس. المجموعة الشعرية الكاملة. ج٢/ ص ٣٣٤ .
- ٣٤- أدونيس. المصدر السابق. ص ٣٦٢ .
- ٣٥- أدونيس. المصدر السابق. ص ٤٠٩ .
- ٣٦- ديوان " فصول من سيرة الرماد " . ص ٤٨
- ٣٧- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا " .

الهوامش والإحالات

- ٣٨- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".
- ٣٩- الديوان السابق
- ٤٠- ديوان " تراثيل حارس الكلا للمباح". ص ٨١
- ٤١- الديوان السابق. ص ٥٨
- ٤٢- الديوان السابق. ص ٧٦، ٧٧.
- ٤٣- الديوان السابق. ص ٥٧
- ٤٤- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم". ص ٣٥
- ٤٥- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".
- ٤٦- ديوان " فصول من سيرة الرماد". ص ٢٣
- ٤٧- للديوان السابق. ص ٤٦.
- ٤٨- الديوان السابق. ص ٤٦.
- ٤٩- ديوان " تراثيل حارس الكلا للمباح" ص ٥٨.
- ٥٠- للديوان السابق. ص ٧١.
- ٥١- ديوان " فصول من سيرة الرماد". ص ٢٧
- ٥٢- ديوان " تراثيل حارس الكلا للمباح" ص ٧٠.
- ٥٣- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".
- ٥٤- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".
- ٥٥- ديوان " فصول من سيرة الرماد". ص ١٩.
- ٥٦- ديوان " تراثيل حارس الكلا للمباح" ص ١٢٠.

الهوامش والإحالات

- ٥٧- الديوان السابق. ص ٢٣.
- ٥٨- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح " ص ١٨.
- ٥٩- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم ". ص ٤٥.
- ٦٠- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح " ص ١٠٤.
- ٦١- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".
- ٦٢- ديوان " تراثيل حارس الكلا المباح " ص ٥٧.
- ٦٣- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم ". ص ٥٥.
- ٦٤- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".
- ٦٥- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".
- ٦٦- ديوان " ورقة من سفر الرؤيا".
- ٦٧- ديوان " ستذكرون ما أقول لكم ". ص